غرس الثّقة

(من مبادئ الخدمة الاجتماعية)

تأليف

أ د عقيل حسين عقيل

القاهرة

2018م

المحتويات

المقدّمَةُ..... 4

غرسُ الثّقة 7

مبدأ بناء الثّقة:.....12

القواعد القيمية للمبدأ: 12

دور الأخصائي الاجتماعي وفقا لمبدأ (بناء الثّقة):.....13

غرس الثّقة يمكّن من استبصار الذّات:.....18

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (استبصار الذَّات):.....20

غرس الثّقة يمكّن من الاتزان الوجداني: 35

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (الاتزان الوجداني):.....37

غرس الثّقة اعتبار خصوصيَّة:.....43

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (اعتبار الخصوصيَّة): 44

تفهُّم الظروف فسحة ثّقة: 50

التفهُّم قيمة إنسانية: 54

غرس الثّقة تفطّين ذاكرة: 58

غرس الثّقة يرسّخ المكانة:.....63

غرس الثّقة يمكّن من تصحح المعلومة:.....69

المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:.....71

غرس الثّقة يؤهّب إلى استبصار:.....73

غرس الثّقة يمكِّن من الاستيعاب احتواءً:.....78

غرس الثّقة يمكّن من التهيؤ:.....93

غرس الثّقة يهيئ للتطلُّع:.....97
غرس الثّقة تفعيل لمبدأ المشاركة: 102
المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:.....103
مبدأ حقّ المشاركة:.....121
دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (حقّ المشاركة):.....121
صدر للمؤلّف 127
المؤلّفات 128
المؤلّف في سطور.....141

(أعترف بي اعترف بك، وإن أنكرت وجودي طرفًا رئيسًا في الوطن

فلا تلمني إنْ أنكرت وجودك طرفًا يماثلني فيه)

د. عقيل حسين عقيل

المقدّمَةُ

الثِّقة في ذاتها قيمة حميدة مجرَّدة، ولكن عندما تُغرس في عقول وضمائر المستهدفين بها سواء أكانوا أفرادًا أم جماعاتٍ أسوياء أم عملاء قيد البحث والدّراسة تستوجب منهجًا وطريقةً وأسلوبًا وأخصائيين لهم من المهارة الفنيّة ما لهم، ولهم من الخبرة والتّجربة والتأهيل العلمي والدّراية الواسعة ما لهم.

ولأنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيّة مهنة إنسانيّة فهي تتعامل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات وكأنّهم ابني آدم الأوَّلين قرابة، ومع ذلك تقف عند كلِّ خصوصيّة دينيّة وعرفيَّة وثقافيَّة وعرقيّة دون أنْ تميل إلى واحدةٍ منها على حسابِ غيرها.

ولهذا، اكتسبت مهنة الخدمة الاجتماعيّة ثقة النَّاس فيها بأسباب غرسها الثِّقة فيهم دون تمييز بينهم مع تقديرها للمتميّزين منهم علمًا ومعرفةً وتجربةً، وفي المقابل مراعاتها للظُّروف التي ألمت بالبعض الذي لم يوفَّق في إدارة شؤون حياته اليوميّة، وإخفاقه في تكوين علاقات ناجحة مع الآخرين، أو التي جعلت من البعض فاشلًا أو منحرفًا عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة؛ فاهتمت بالدِّراسة والبحث في ميادين الأسرة والجماعة والطفولة والشّباب والعجزة والمعاقين، وكذلك في ميادين مؤسّسات تنظيم المجتمع على المستوى المحلي ومستوى الدّولة والعلاقة بالآخر التي تحفِّز المهنة إلى التطلُّع إليه بغاية المزيد المعرفي وما ييسّر إحداث النُّقْلَة إلى المفيد والأكثر جودة.

ولأنَّها مهنة إنسانيَّة فهي يدٌ ممتدّة إلى أيدٍ في حاجة للنّهوض أو في حاجة للمساعدة الهادفة؛ فكانت خيرَ مهنة لخيرِ خَلقٍ، مصداقًا لقوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[1].

[1] التين 4.

ومع أنَّ مهنة الخدمة يدٌ ممتدّة للآخرين محبّة، فإنَّها لا تقدِّم المساعدة إلَّا بعد معرفة العلل والأسباب التي كانت وراء من أصبح في حاجةٍ للمساعدة، وهذا الأمر ليس هيّنًا، بل يتطلّب إخصائيين مهنيين يميّزون بين ما تثيره العاطفة، وما تستفزّه الحاجة، وما يتهيّأ للعقل البشري من تدبُّرٍ في غير مكانه المناسب؛ فَتُجرى الدِّراسات الموضوعيَّة تتبّعًا وتقصيّا وفقًا لخطط ترسم.

ولهذا جاء مؤلَّفنا غرس الثِّقة (مبدأ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة) ليقدّم للقراء والمتخصّصين مادَّة قابلة للمناقشة وقابلة للإثراء وقابلة للنّقد، وقابلة لأن يؤخذ بها أثناء دراسة الحالات الفرديّة والجماعيّة وهي غنيّة بالأفكار وكيفيّة توظيفها علمًا وموضوعيَّةً.

ومع أنَّ موضوع مؤلَّفنا غرس الثِّقة (مبدأ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة) فإنَّه لا يعني أنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة لا مبادئ لها غيره، بل لها من المبادئ ما لها، ولكن مؤلّفنا خصَّ مبدأً واحدًا من مبادئها وهو: (غرس الثِّقة) كونه المبدأ الذي يحتوي كلّ المبادئ الأخرى دون أن يغني عنها.

ومع أنَّنا قدّمنا (غرس الثّقة مبدأ) ولكن يجوز أن يكون هدفًا؛ فهذا الأمر يعود للباحث أو المتخصّص، فإن كان هدفه غرس الثّقة في العملاء فعليه به هدفًا، ولكن إن أراده مبدأ فعليه الانطلاق منه قيمًا حميدة تستوجب أن تغرس في نفوس وعقول المستهدفين بالبحث والدّراسة.

أ. د. عقيل حسين عقيل

القاهرة

2018م

غرسُ الثّقة

الثّقة قيمة أخلاقيَّة تؤسّس بين الأنا والآخر بعد وضوح رؤية ولا شيء مخفي (كلّ شيء على البلاطة)، وهي لا تغرس إلَّا بعد تقبُّل وتفهُّم للخصوصيَّة والظّروف؛ أي: لا يمكن أن تغرس إلَّا بعد التخلُّص من الشّكوك والظّنون.

إنَّ غرس الثّقة رسوخًا يستوجب وقتًا وجهدًا يُظهر حُسن النيّة، وصدق القول، وسلامة الفعل والعمل، وأن يكون السُّلوك قدوة؛ الذي من بعده يتمّ التسليم وثوقًا بين الأنا والآخر، أو بين الأخصائي الاجتماعي والعميل.

فالثّقة لا تكون إلّا نتاج معرفة واعية، ولا تكون إلّا بعد استئناس ودراية بالخفايا التي تُمكّن من كشف الحقائق ومعرفة الطّباع؛ إذ لا شيء مخفيٌّ (كلّ شيء على البلاطة).

فالثّقة لكونها قيمة حميدة، لا تُغرس في أحدٍ إلّا بعد معرفة واعية، ودراية تامّة بما يجب تجاه من تمّت معرفته ولا شكوك فيه، وفي المقابل الثّقة لا تُغرس بناء على رغبة أو مطلب من أحدٍ، ولكنّها تُغرس فيمن يكون دافئ الجانب ومخلصًا في صّدقه، وعمله، ومهنته وخُلقه وعلمه، وفي أفعاله وسلوكياته.

ولأنّ الثّقة لا تسود بين النَّاس إلا تبادلًا، وعن إرادة حرّة؛ فهي المأمولة من قِبل الشركاء، سواء أكانوا شركاء سياسة، أم اقتصاد، أم علاقات اجتماعية وإنسانية.

ومن ثمَّ فغرس الثّقة في النَّاس يُمكِّن من نيل الاحترام والتقدير والاعتبار، وفي المقابل سحب الثّقة من النَّاس لا يمكّن إلّا ممّا يخالف ذلك

ويختلف معه، فمن أراد أن ينال احترام الآخرين؛ فعليه باحترامهم، ومن أراد لنفسه أو برنامجه أو رؤيته نيل التقدير؛ فعليه بتقديرهم؛ ولهذا فمن يتبنّى مشروعًا لإقصاء النَّاس بغير حقّ؛ فلا شكّ أنّه قد تبنّى مشروعًا يؤدّي إلى سحب الثّقة منه؛ وكذلك من يجبر النَّاس على سحب ثقتهم ممن غرست فيهم عن رغبة بأسباب لا موضوعية، ولا أخلاقية، فهو بهذا السّلوك لن يترك مجالًا أو هامشا، لغرس الثّقة فيه.

ولذا؛ فمن يقصي النَّاس فهو لا يقبل بثقة تُغرس في سواه، وعندما يصبح الأمر بين البعض والبعض مؤسّسًا على: (أنا مصدر الثّقة وأنت لا ثقة فيك) فبالضّرورة سيؤدّي الأمر إلى خلاف يدفع البعض إلى إعداد العدّة الممكّنة من المغالبة، أو على الأقل إعادة التوازن.

فالثّقة قيمة حميدة لا تُغرس إلّا في ثابت مقدّر، ولا تُمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقَّع؛ فالثّقة عزم وإصرار مع وافر التأكيد على القول الحقّ، والفعل الحقّ، والعمل الحقّ.

ولهذا فالثّقة قيمة مُرضية بين الأنا والآخر عندما لا يكون لليأس محلّ بينهما ليحلّ فيه، ولا محلّ للخيانة والتراجع عمّا يجب التمسّك به، مع عدم التنازل عن الموثوق فيه. ولكن عندما يتخلّى أحد الأطراف عن الموثوق فيه ويرفضه، تصبح المواجهة بين المختلفين والمتخالفين حتميّة.

ولأنَّ الثّقة قيمة أخلاقية؛ فهي منبع أمل يأملها الجميع بغاية الطمأنينة وإسقاط الظنون والشكوك، والثّقة قد تكون على مستوى الشّخصية، وقد تكون على مستوى الموضوع؛ فإنْ كانت على مستوى الشّخصية؛ فهي تتعلّق بالتصرّفات والسّلوك الذي من أساسه هو قابل لأنْ يتغيّر وينحرف عن مرتكزات غرس الثّقة، ممّا يستوجب تصحيح المعلومات الخاطئة التي تمّ تشرّبها بمعلومات صائبة تعيد الثّقة إلى الشخصيّة.

أمّا إذا كان الأمر يتعلّق بالموضوع؛ فقد يكون الموضوع في حاجة للتغيير حتّى يواكب حركة التغيّر والتطوّر، ومن ثمّ، يسهم بشكل مباشر في معالجة المشكل أو بلوغ الحلّ.

فالثّقة لا تكون إلّا بثبات المعرفة الواعية، المرشدة للحقّ، والمحرّضة على إحقاقه، وهي التي بها تكون القدوة الحسنة القابلة لغرس الثّقة فيها إذ لا وجود للظنون؛ وذلك فالثّقة مكمن الاعتقاد، والتصديق، والإخلاص؛ فعندما تتوافر بين الأطراف يتمّ الاستئناس والاطمئنان الذي يسرّع بعجلة التفاهم، والتفاعل الاجتماعي المفيد؛ فالثّقة تعني ممّا تعنيه إزالة الشكوك من صدور ونفوس المختلفين؛ وبها تدوم العهود، وتستمرّ العلاقات وتوثّق عُرى الرّوابط بين بني الإنسان.

وعليه: فالثّقة حزام أمان للمختلفين، حيثما توافرت بينهم زاد التّفاعل، والتفاهم، والتواصل، والتعاون، واتسعت دائرة المشاركة، الممكّنة من التوافق الذي عراه لا تنفصم. وفي هذا الشّأن يقول المفكّر الأمريكي فرنسيس فوكوياما: "أهم العبر التي نستخلصها من دراسة الحياة الاقتصادية، هي أنَّ إصلاح حال أيّة أمّة، والحفاظ على قدراتها التنافسية في السّوق الاقتصادية، يبقيان مشروطان بتوافر سمة ثقافية وحيدة وراسخة، ألا وهي الثّقة ومدى توافرها وتأصّلها في المجتمع"[2].

ولأنَّ الثّقة قيمة حميدة؛ فهي معطية رئيسة للتوافق ومنبع أمل يجمع ولا يفرّق، وهي ضرورة للتماسك بين المختلفين؛ فعلى سبيل المثال، العلاقة بين الحاكم والمحكوم إن بُنيت على الثّقة، يصبح بها النظام مستقرًّا بأمنه، وعدله، وتطوّره، ونظافة يد قمّة سلطانه، ولكن إن لم يكن ذلك متحقّقًا على أرض الواقع؛ إذ وجود المخالف لكلّ ذلك؛ فلا شكّ سيكون الرّفض

[2] Francis Fukuyama. Trust: Social Virtues and Creetin of Prosperity 1995 P 9.

من الشّعب؛ ممّا يدعوه إلى سحب الثّقة من الحاكم، ومن ثمّ عزله، ومساءلته، ومحاسبته. وإن رفض سيكون رفضه في مواجهة الرّفض العام؛ فيسقط بالقوَّة.

ولسائل أن يسأل:

. ماهي معطيات فقدان الثّقة؟

. وما هي معطيات إعادتها؟

معطيات فقدان الثّقة كثيرة ومنها:

. الخيانة.

. التآمر.

. النفاق.

. الغموض.

. الأحكام المسبقة سلبيًّا.

. الإقصاء.

. التهميش.

. التغييب.

. الظلم.

. العدوان بغير حقّ.

ومن هنا؛ فإنّ فقدان الثّقة يدلّ على انعدام المصادق بين المختلفين والمتخالفين؛ ممّا يجعل البعض يفقد الثّقة في الحاضر؛ فيكون الخوف على

المستقبل على رأس ما يدور في الصدور، وهذا الأمر يحفّز أصحابه على التمرّد والمواجهة والثورة.

إنّ فقدان الثّقة يعني ممّا يعنيه اتساع الهوة بين الرّغبة والأمل، وهو التباين الواسع بين الواقع والمتوقَّع؛ فالواقع عندما يصبح متردّيًا لا يمكن أن يكون متوافقًا مع الأمل؛ وذلك تنعدم الثّقة بين من يحكم بغير عدلٍ فيظلم، ومن انتخبه أو ارتضاه حاكمًا في فترة من الزّمن؛ ولذا فجميع من يحكم ولا يسمح بالنقد البنّاء، ولا يولي اهتمامًا بمحاسبة ومساءلة ومعاقبة الحكومة، ولا يمتثل للقانون لكونه أصبح لا يرى إلّا نفسه، أو بطانته؛ فبالضّرورة سيفقد ثقة الشّعب، وسيُسقط به أرضًا.

أمّا معطيات إعادة الثّقة فمنها:

الاعتراف بالآخر وتقديره واحترامه واعتباره واستيعابه وتفهّم ظروفه وخصوصيته، ثمّ الأخذ بقيمة العفو والصّفح والتصالح والتسامح مع وافر الأمانة والوفاء والعدالة.

ولهذا؛ فالثّقة تعني ممّا تعنيه (نحن معًا) و (نحن سويَّةً) حاضرنا مُرضٍ مع وافر الرّغبة، ومستقبلنا كلّ يوم يتجدّد، ورغباتنا مع حاجاتنا المشبعة تتقدّم وتتطوّر، ممّا يجعل المسافة بين الحاضر والمستقبل متّصلة في حركة دائرية، مع حركة الأرض حول نفسها، وحركتها حول الشّمس؛ ولهذا فأيّامنا كلّ يوم تتجدّد ولا تتكرّر.

ومع أنّ علماء النّفس الاجتماعي قد صنّفوا الثّقة في إطار منظومة التكيّف، إلّا أنّني لا أتفق معهم وأصنّف الثّقة في إطار التوافق الاجتماعي؛ لأنّ التكيف لا يسود إلّا بتقديم المزيد من التنازلات، وهذه لا تؤدّي إلّا إلى نزع الثّقة، أمّا التوافق فلا يسود إلّا بالإرادة وغرس الثّقة.

ومن ثمّ؛ فأمر غرس الثّقة السياسية أمر تعاقدي، بين أصحاب القيم والمبادئ المحفّزة أخلاقيًّا على إدارة الحراك السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والنفسي، والثقافي، والذوقي؛ فالثّقة في دائرة الاختلاف والخلاف تُكتسب اكتسابًا، ولا تمنح منحًا عبثيًّا؛ ولأنّها تكتسب فهي لا تكتسب إلّا بعد معرفة، وتجربة، ودراية واعية، بما يقال ويفعل، وهكذا هي تترسّخ وتقوى بقوَّة التمسّك بالثوابت المرضية للنفس، والعقل، والجسد، والقلب، والرّوح.

ولأنّ الثّقة قيمة حميدة؛ فلا تغرس إلّا في الثوابت التي لا عيوب فيها، وفيها محاسن، ولا تمنح إلّا لصاحب مقدرة على تحقيق المتوقَّع في دائرة الممكن[3].

مبدأ غرس الثّقة:

(تحسيس المجتمع أفرادًا وجماعاتٍ بأنَّهم موضع ثقة، والعمل على تأكيده قولا وفعلا بما يحقق لهم الطمأنينة ويُمكِّنهم من التفاعل المتبادل مع بعضهم البعض، ومع محيطهم الاجتماعي والإنساني، وتفهّم ظروفهم الخاصَّة لأجل أن يتفهموا القيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني ويتطلَّع إليها).

القواعد القيمية للمبدأ:

. المجتمع موضع ثقة.

. تحسيس العملاء بأنَّهم موضع ثقة.

. غرس الثّقة قولًا.

[3] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، ص 215 . 220.

. غرس الثّقة سلوكًا.

. غرس الثّقة فعلًا.

. تحقيق الطمأنينة.

. التفاعل المتبادل.

. تفهّم الظّروف.

. تفهّم القيم والفضائل الاجتماعية.

. تفهُّم القيم والفضائل الإنسانية.

. التطلّع للأفضل.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقا لمبدأ (غرس الثّقة):

1 – منح الأفراد والجماعات والمجتمعات الاعتبار والاحترام والتقدير، بما يسهم في تفاعلهم وتواصلهم مع الأخصائي الاجتماعي والآخرين في البيئة المحيطة.

2 – غرس القيم والفضائل الاجتماعية في نفوس أعضاء الجماعة من خلال برامج معدة مهنيًّا.

3 . التعامل مع الحالات المدروسة فردية كانت أم جماعية بكل صدق وإخلاص.

4 . تحرير العملاء من المشاعر والأفكار السّلبية التي تعوق ثقتهم بذاتهم، وتؤدّي بهم إلى انحرافات يعاقب عليها القانون.

5 . تحسيس العملاء بأنَّهم موضع ثقة.

6 . تحسيس المجتمع بأنَّه مصدرٌ للقيم ومنبعٌ للثّقة.

7 . تحريض الأفراد على التمسّك بالقيم والفضائل الاجتماعية المعزّزة للثّقة.

8 . حث العملاء وتحفيزهم على الأخذ بالقيم التي تمدّهم بالقوَّة الدّافعة إلى تحقيق مستقبل أفضل.

9 . غرس الثّقة في نفوس العملاء والزّبائن قولًا وفعلًا.

10 . طمأنة العملاء أفرادًا أو جماعاتٍ أو مجتمعاتٍ أنَّ المعلومات التي سيدلون بها هي بين أيدي أمينة فلا يتم العبث بها أو تسريبها للآخرين.

11 . العمل مع الأفراد والجماعات والمجتمعات من حيث قدراتهم واستعداداتهم ومواهبهم وخبراتهم يُمكّن من تحقيق المستهدف الإنساني الذي تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية إلى بلوغه.

12 . تدعيم القيم المحققة للاستيعاب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والذوقي والنفسي.

13 . غرس روح التحدّي في نفوس العملاء، والتأكيد لهم بأنَّهم أهل للثقة حتى لا يقبلوا بالاستسلام، أو ينغلقوا على ذاتهم وكأنَّهم هم نهاية العالم بأسره.

14 . اعتماد منطق الحوار المحقق للتفاعل المتبادل بين العملاء والأخصائي الاجتماعي أثناء عمليات الدراسة.

15 . تفهُّم ظروف العملاء السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، والبدء معهم من حيث هم.

16 . مراعاة قيم وفضائل المجتمع يسهم إيجابًا في بناء الثّقة المتبادلة بين الأخصائي والأفراد والجماعات الذين يتعامل معهم ويتولى حالاتهم بالدراسة.

17 – تدعيم السُّلوك الجماعي في اتجاه بناء الجماعة قيميًّا، وبناء علاقاتها وظيفيًّا.

18 – مساعدة الفرد والجماعة على الاستقلال وعدم التبعية، من خلال تفطينهم لأداء الأدوار الاجتماعية اللائقة بهم وبالمجتمع الذي ينتمون إليه.

19 – العمل على تماثل ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، في كل أمر يتعلّق بأفراد المجتمع.

20 . التعامل مع الأفراد بكل وضوح وشفافية يمكّنهم من الشعور بالاطمئنان، ويُمكِّنهم من مبادلة الثّقة

21 . مراعاة الفروق المجتمعية من حيث القدرات والاستعدادات والإمكانات.

22 . مراعاة الخصوصية الاجتماعية التي تميّز كل مجتمع أو أمّة من الأمم وتقديرها دون انحياز.

23 . تحسيس العميل بأنَّه قيمة في ذاته، من حيث خلقه إنسانًا كغيره من بني الإنسان يؤدّي إلى تقبل واحترام متبادل، ويغرس الثّقة في نفسه، حتى يمتد واثقًا في من يبادله هذه الأحاسيس والمشاعر الإنسانية.

24 . تحسيس الأفراد بأنّ أساس خلقهم قوَّة، وأمَّا الضعف الذي ألمّ بهم فاستثناء، وزمن الاستثناءات لا يطول ولا يصمد أمام امتداد القواعد الثابتة التي خُلق الإنسان على أساسها قوَّة.

25 – الموائمة بين إمكانات المؤسسة، وحاجات العملاء، وما يستطيع أن يُسهم به أعضاء الجماعة في تنمية الموارد المتاحة حتى تستثمر في الأوجه التي تزيد من تنميتها.

26 – التأثير في قوَّة الفكرة التي احتضنها العملاء كعلاج للتوتر الذي يعانوا منه، من خلال إحلال فكرة محل أخرى تملأ الفراغ بين ما هو كائن وما يمكن أن يكون باتجاه بنّاء الذات الاجتماعية.

27 . تفهُّم القيم والفضائل الاجتماعية التي تُشكِّل هوية المجتمع وتُسهم في صناعة تاريخه، وتقوّم سلوك أفراده وجماعاته من الانحراف السَّالب.

28 . تفهّم القيم والفضائل الإنسانية التي تُسهِم في تحقيق المستوى القيمي للموضوعية على مستوى سكان المعمورة، والعمل على ترسيخها في نفوس العملاء والزبائن.

29 . إشعار الأفراد بأهمية التأهيل الذي يمكِّنهم من الأقدام والاعتماد على الإمكانات الذاتية بلا تردد.

30 . حث العملاء وتحفيزهم على الأخذ بالقيم التي تمدّهم بالقوَّة الدافعة إلى صناعة المستقبل الأفضل.

ومع أنَّ (الثّقة) ليست مادَّة يُمكن التحكم في عناصرها في المعامل والمختبرات، فإنَّها مادّة قيمية لا تُبنى شخصية الأفراد والجماعات والمجتمعات إلَّا بها، فالبناء مثلما هو مادّي هو معنويّ؛ ولكن البناء المادّي سريع وميسر؛ أمَّا البناء المعنوي فبطيء وصعب.

ولهذا لا تغرس الثّقة في الإنسان إلّا بعد أن يوضع في محكّات عملية ويجتازها بنجاح، وهي القيمة التي تحتوي في مضمونها أبعاد قيم أخرى، من صدق وأمانة والتزام أخلاقي وسلوكي إلى جانب الوفاء بالعهود.

وعندما تتجسّد الثّقة في نفوس الأفراد والجماعات وتنعكس في السّلوك والفعل، تصبح ذات دلائل وثوابت مقدّرة من قبل الآخرين؛ ولذا عندما يثق الأفراد في ذاتهم ويثقوا في الأساليب المهنية للأخصائي الاجتماعي يتمكّنوا من التفاعل المرضي، ومن التقبُّل حتى إنجاز الأهداف وبلوغ الغايات ثمّ نيل المأمول.

ولهذا لا ينبغي أن يغفل الأخصائي الاجتماعي عن توظيف القيم الاجتماعية والإنسانية أثناء دراسته حالات الأفراد والجماعات؛ لأنَّ إغفاله عنها لا يمكِّنه من نيل ثقة العملاء وفكّ تأزُّماتهم؛ مع العلم أنَّ بناء الثّقة عملية تبادلية بين الأخصائي والعميل، أي: إنَّ الثّقة مطلب يأمله الأخصائي كما يأمله العميل.

ولأجل أن تجد الثّقة مكانًا لتغرس فيه بين الأخصائي الاجتماعي والعميل فعلى الأخصائي مراعاة الآتي:

1 . إشعار العميل بأنَّه محل ثقة.

2 . التعامل مع العميل بكلِّ وضوح وشفافية ليشعر بالاطمئنان.

3 . تحسيسه بأنهَّ صادق فيما يقول.

4 . تقديم المساعدة الهادفة للعميل بعد دراسة موضوعية مهنية.

5 . تقبُّله كما هو.

6 . إعادة العيوب للمعلومات التي تشربها العميل بدلًا من إعادتها إلى شخصه.

7 . مناصرته على مغالبة المعلومات الخاطئة.

8 . إظهار حسن النيّة في التعامل معه.

9 . إشعار العميل بالآتي:

أ . أنَّ الأمل ينتظره.

ب . أنَّه قيمة لا يمكن الاستهانة بها.

ج . أنَّه مقدرة تحتاج لإعطاء فرصة.

د . أنَّه قوَّة تحتاج إلى توجيه.

هـ . أنَّه استعداد يحتاج إلى تهيئة.

و . أنَّه في حاجة يحتاج إلى تأهيل.

غرس الثّقة يمكّن من استبصار الذّات:

(الإيمان بأنَّ لأفراد المجتمع قدرات واستعدادات متنوّعة ومتعدِّدة يستوجب تنميتها قيميًّا، وتهيئتها لِما يُمكّنهم من إدراك الحالات التي هم عليها ليتمكّنوا من النّهوض إلى مستويات تجعلهم قادرين على مساعدة أنفسهم، وهم في حاجة للتعبير المقصود عن مشاعرهم الكامنة وأحاسيسهم التي تُمكِّنهم من التفاعل والاعتبار القيمي للذّات، فلكلِّ فرد وجماعة خصوصية يتميزون بها عن غيرهم ولكلّ منهم طريقة وأسلوب ومنهج في التعبير عن الخصوصية الذاتية، التي تحتوي المعتقد الديني والعرفي والثقافي والحضاري في تكوين الهوية).

يحتوي مبدأ (استبصار الذات) القواعد القيمية الآتية:

. تنوّع القدرات الفردية وتعدّدها.

. تنوّع الاستعدادات الفردية وتعدّدها.

. تنمية القدرات.

. تهيئة الاستعدادات.

. التفطين من الغفلة.

. التمكّن من الإدراك.

. التمكّن من النهوض.

. القدرة على المساعدة.

. العودة إلى البيئة الاجتماعية.

. الاندماج الاجتماعي.

. التفاعل الاجتماعي.

التعبير عن الحاجة.

. إظهار المشاعر الكامنة.

. إظهار الأحاسيس.

. التمكّن من التفاعل.

. اعتبار الذّات.

. تمييز الخصوصية.

. كشف الأسلوب.

. استنباط المنهج.

. الدّين معتقد إلهي.

. العرف مكوّن اجتماعي.

. للخصوصية الاجتماعية ثقافة.

. الفكر الاجتماعي.

. الحضارة بناء.

. الذات مقوّم للهوية.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (استبصار الذَّات):

يؤدّي الأخصائي الاجتماعي دوره المهني المتضمّن في مبدأ (استبصار الذات وفقا للآتي:

1 . تحفيز العملاء والزّبائن على التعبير عن ذواتهم التي بها انطبعت شخصياتهم وتميَّزت عن ذوات الآخرين يشبع حاجتهم للتنفيس الوجداني ويحقّق لهم اعتبار الذات.

2 . استثمار قدرات الأفراد والجماعات المتنوّعة فيما يفيد في تحسين سلوكهم ويدفعهم إلى ما يفيدهم والمجتمع الذي ينتمون إليه.

3 . العمل على إظهار المشاعر الكامنة في نفوس العملاء تجاه الحالات والمشاكل التي يعانون منها وما يأملونه من معالجات أو حلول مهنية من قبل مؤسّسات المجتمع والأخصائيين العاملين فيها.

4 . التعرّف على ما يحس به أفراد المجتمع تجاه قضاياهم ومشاكلهم الاجتماعية، وما يؤثّر في سلوكياتهم وأفعالهم تجاه الآخرين، والعمل على تحسينه أو تهذيبه أو تطويره أو تغييره.

5 . تهيئة استعدادات أفراد المجتمع المتعدّدة إلى العمل البناء من خلال التأهيل والتدريب المهني الفعّال.

6 – استثارة العملاء من أجل التعبير الحرّ عن مشاعرهم.

7 – استثمار نقاط الانبساط والسّرور التي تظهر بين الحين والحين أثناء المقابلة فيما يفيد لإصلاح الحالة وعلاجها.

8 – البحث عن مثير يستجيب له العملاء، ويجعلهم يبادرون بالإفصاح عن مشاعرهم، ويدلون بمعلومات أكثر حرّية.

9 – إشراك العملاء في عملية جمع المعلومات، وإطلاعهم على نتائج التحليل والتشخيص، ومن ثمّ مشاركتهم في عمليتي العلاج والتقويم.

10 . إيقاظ العملاء من الغفلة التي هم فيها، وإعادتهم إلى قواعد المجتمع التي يرتضيها ويتمسّك بها في وحدته وتفاعله، وتطلّعه للمستقبل النّافع.

11 . حث أفراد وجماعات المجتمع على التفاعل البناء الذي يُمكِّنهم من صناعة مستقبل أفضل لمجتمعهم الذي ينتمون إليه.

12 . اعتبار الذّات الاجتماعية لدى الأفراد والجماعات وتقديرها وحثها على التطلُّع النافع والمفيد.

13 . تمكين العملاء من إدراك الحقيقة عن وعي وإرادة سواء من حيث الحالة التي هم عليها أو من حيث ما ينبغي أن يكونوا عليه، حتى يتبيّنوا بموضوعية.

14 . تقديم المساعدة الهادفة للعملاء حتى يتمكّنوا من النّهوض والتخلّص من عوامل الشد للخلف، وينطلقوا تجاه الأهداف التي حددها المجتمع ورسم لها الخطط والاستراتيجيات، ورصد لها الإمكانات اللازمة.

15 . اعتبار خصوصيات المجتمع وأفراده التي بها يتميَّزون عن غيرهم من المجتمعات، مع مراعاة عدم تعميم خصوصية مجتمع معين على حساب خصوصيات الآخرين.

16 . معرفة ما يميّز كلّ مجتمع عن مجتمع آخر يستوجب معرفة الطريقة التي بها تنتظم العلائق الاجتماعية قيميًّا بين أفراد وجماعات ومؤسّسات وهيئات المجتمع الذي تُرسم له الخطط والاستراتيجيات.

17 . دفع الأفراد والجماعات لِما يؤهلهم على أداء مهام ووظائف أو حرف ومهن حتى يتمكّنوا من الاعتماد على أنفسهم بدلًا من اعتمادهم على الغير.

18 . تهيئة المحيط الاجتماعي لتقبل أبنائه الذين فطنوا من غفلتهم وغرور الحياة، واستيعابهم في حركة التغيّر الاجتماعي، ودفعهم إلى المشاركة في كلِّ ما يفيدهم ويفيد المجتمع.

19 . عدم اتباع أسلوب واحد في التعامل مع حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية؛ إذ ما يناسب جماعة من الجماعات قد لا يناسب جماعة أخرى من نفس المجتمع الواحد. وحتى لا يُقولب بني الإنسان

وفق معايير قيمية معينة ينبغي أن تتعدّد الأساليب وتتنوّع مع تعدّد الحالات وتنوّعها.

20 . اتباع منهجية واضحة مع مرونة في الأسلوب في البحث والتقصي الدقيق أثناء دراسة الحالات وتتبّع عملياتها.

21 . ترسيخ قيمة التقبل بين الأنا والآخر يدفعهم إلى الاندماج في مصالح مشتركة وينمي قدراتهم ويدفعهم إلى إحداث النُّقْلَة.

22 . تفهّم ما يحس به الأفراد من مشاكل وهموم وظروف يُسهم في نقلهم إلى ما يجب.

23 – إشراك الأفراد والجماعات في رسم الخطط وإعداد البرامج بما يتناسب مع اهتماماتهم واحتياجاتهم.

24 – الاستفادة من خبرات أفراد المجتمع، وكفاءاتهم وقدراتهم القيادية، وأفكارهم البنّاءة.

25 – إظهار الأفكار والمهارات بتوازن من خلال الأسئلة الحيادية وغير المباشرة وبخاصة في المقابلات الأولى.

26 – ملاحظة معدل تحرك العملاء وفاعليتهم بالتدريج المناسب عند استثارتهم للتعبير عن مشاعرهم.

27 . معرفة المعتقد الديني للمجتمع وتأثيراته على قيم الأفراد والجماعات وأخلاقياتهم وسلوكياتهم ومعرفة المعايير الضبطية التي يتضمنها في تنظيم العلائق الاجتماعية ومدى تطلّعه لاستيعاب الآخرين.

28 . تقدير الأعراف الاجتماعية ومراعاة النظم والتشريعات المستمدّة منها ومدى تأثيرها على سلوكيات وأفعال أفراد المجتمع تجاه الآخر واتجاه ممارسة المهنة وأداء الوظيفة وحمْل ما يترتّب عليها من مسؤوليات.

29 . إشعار العملاء بأهمية خصوصياتهم وتقديرها يعزّز التعاون المهني بين الأخصائي والعملاء.

30 . حث أفراد المجتمع على استيعاب بعضهم بعضًا بأساليب مرنة ومتعدِّدة يجعلهم متفاعلين ويقوّي وحدتهم ويُسهِّل عملية العلاج والإصلاح للحالات التي قد تَشُذ عن القاعدة.

31 . معرفة الثقافة الخاصّة بالمجتمع وتأثيراتها الإيجابية والسّلبية على أقوال وأفعال وسلوكيات أفراد المجتمع أثناء ممارسة الأنشطة والمشاركة في العملية الإنتاجية وتقديم يد العون لمن هم في حاجة للمساعدة، وفي البحث العلمي والتطور الفكري والتقني والسّكاني والمعماري.

32 . معرفة البناء الحضاري للمجتمع وأثره على ظهور السّلوك في المعاملة بين الأفراد والجماعات ومع المجتمعات الأخرى، حتى يتمّ التمكّن من معرفة ما يجب اتباعه تجاه كلّ حالة من الحالات الاجتماعية قيد البحث والدّراسة.

33 . إقناع العميل بأنَّه قوَّة في خلقه، ولذا لا ينبغي أن يركن إلى الضّعف الذي يجعله في حالة تقوقع أو انحراف يجعله تحت طائلة القانون.

34 . تمكين الأفراد والجماعات والمجتمعات من التفاعل والتعاون والمشاركة في كلّ أمر يتعلّق بهم.

35 . الاعتراف بهويات العملاء الخاصّة وعدم التقليل من شأنها، يقوي الرابطة المهنية والموضوعية مع العملاء والزّبائن ويُسهم في تمكينهم من

التفاعل والتعاون والمشاركة في كلِّ أمر يتعلّق بهم، ويُحفِّزهم على التطلُّع للآخرين الذين تربطهم بهم علائق اجتماعية.

36 . تحريض الأفراد والجماعات والمجتمعات على التطلّع للآخرين الذين تربطهم علائق إنسانية بهم.

37 . تبصير أفراد المجتمع وجماعاته بأهمية الاعتماد على قدراتهم واستعداداتهم.

38 – ترجمة الأقوال والتعبيرات التي يدلي بها العملاء إلى أفعال وسلوكيات يُستفاد منها في العملية المهنية.

39 – العمل على كسب ثقة الأفراد والجماعات الذين يتولَّى الأخصائي حالاتهم بالبحث والدّراسة من خلال أسلوبه الفني ومهاراته العالية والتزامه الموضوعي حتى يشعروا بجدّية العمل المهني، ومن ثمَّ يَقبلوا ويقدموا بحماس على القيام بمسئولياتهم.

40 – تحفيز الجماعة على الاستجابة الإرادية بما يمكّنها من تقوية الرّوابط بين أعضائها.

41 . تمكين الأفراد من استبصار الحالة التي هم عليها والعمل معهم على تغييرها إلى ما ينبغي أن تكون عليه.

42 . تعزيز كلّ ما من شأنه أن يحقّق الأمن والطمأنينة ويرفع الرّوح المعنويّة لأفراد وجماعات المجتمع الذي يمارس في ميادينه الأخصائي الاجتماعي مهامه المهنية.

43 . تفعيل قيمة الاستيعاب بين أفراد المجتمع حتى يتمّ احتواء الجماعة لأعضائها واحتواء المجتمع لجماعته، والتخلّص من عوامل رفض البعض للبعض.

44 . ترسيخ القيم الاجتماعية والإنسانية المحقّقة للتقدير والاعتبار والممكِّنة من الاستيعاب بين الأنا والآخر.

45 . حث الأفراد على المشاركة والتفاعل البنّاء لتأكيد كرامتهم وأهميتهم في تحقيق تقدّم مجتمعهم.

46 . تمكين الأفراد من اكتشاف قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم وتنميتها وتهيئتها للاستثمار الاجتماعي الأمثل.

47 . التأكيد على أهمية الوحدة والاندماج القيمي المعزّزة لزيادة القوَّة الفردية والجماعية قوَّة اجتماعية بناءة.

48 . توعية الأفراد بما يُمكِّنهم من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

49 . تمكّين أفراد المجتمع من استبصار ذواتهم واكتشاف القوَّة الكامنة فيهم وتفطينهم من الغفلة حتى يعوا أهمية تسخيرها وتوجيهها إلى ما ينبغي.

50 . تفطين أفراد المجتمع لأهمية وضع الخطط ورسم السياسات التي تدفعهم إلى صناعة المستقبل الأفضل.

51 . حث الأفراد والجماعات التي يعمل الأخصائي الاجتماعي معها على استبصار مكامن العلل وأسباب المشاكل ليتفادوا الوقوع فيها ثانية، مع معرفة المخرجات العلاجية منها.

52 – تفطين العملاء بالواقع الذي هم عليه، سواء كانوا يعانون من مشاكل اجتماعية، أم نفسية، أم صحية، أم تعليمية، أم اقتصادية.

53 – تعريفه العملاء بالعلل والأسباب التي أوجدت المشكلة حيّز الوجود، وتوضيح كيفية التعامل معها مهنيًّا بما يتمشّى مع فلسفة المؤسّسة وإمكانياتها.

54 – إقامة الندوات وعقد الاجتماعات؛ لأجل توعية الأفراد والجماعات بالأضرار الناتجة عن عدم التقيّد بالتوجيهات والنصائح المقدّمة من الأخصائي الاجتماعي، والأخصائي النفسي والأخصائي الصحي، وإدارة المؤسّسة، ومن له علاقة أو مسؤولية بهم.

55 – إعداد البرامج الاجتماعية والترفيهية، للكشف عن قدرات واستعدادات الجماعة، وتوجيهها وتنميتها واستثمارها فيما يفيد قيميًّا.

56 – إجراء لقاءات وعقد اجتماعات مع أولياء الأمور، لتفطينهم بواقع أبنائهم، من أجل النّهوض بهم إلى مستويات قيمية أفضل.

57 – التشجيع على تنمية قيم الولاء والانتماء المرضيين، والمساعدة وحب الخير وقول الحق، وغيرها من القيم الموجبة التي تُسهم في زيادة التفاعل والاندماج مع البيئة المحيطة.

58 – العمل على وقاية الأفراد والجماعات من الانحراف القيمي الناتج عن سوء استثمار قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم.

59 – تمكين الأفراد والجماعات من الاعتماد على قدراتهم وإمكانياتهم الذاتية وتأهيلهم وإحالتهم إلى الإنتاج.

60 – المتابعة والعمل على حلّ مشاكل أفراد المجتمع حتى يتمكَّنوا من الاعتماد بثقة على قوَّتهم الذاتية في انجاز مهامهم التي يقدمون على تأديتها.

61 . التوجيه والنقد البنَّاء للأفعال التي يقدم عليها أفراد المجتمع، من أجل بناء الذّات المتفاعلة.

وعليه: إنَّ استبصار الفرد لذاته أو الجماعة أو المجتمع لذواتهم يمكّنهم من معرفة علائقهم بالقيم الاجتماعية.

ولهذا القاعدة هي:

1 . استبصار الذات.

2 . إيقاظ القوى الكامنة.

والاستثناء:

1 . عدم استبصار الذات.

2 . عدم إيقاظ القوى الكامنة.

وعليه:

1 . اكتشف ذاتك:

فإذا لم تستطع أن تكون شلالًا من على قمّة جبل، كن ينبوعًا في الوادي، كن شجرة زيتون على سفح الجبل، فإن لم تستطع أن تكون شجرة زيتون كن زهرة في قلب الوادي، وإن لم تستطع أن تكون زهرة في قلبه كن أفضل نبتة فيه ولا تيأس النبتة تثمر.

2 . أكد ذاتك واعلم:

أ . أنَّ لديك قوَّة كامنة تستطيع أن تتحدّى بها الصِّعاب.

ب . إنَّك قادر على إنجاز الأهداف.

ج ـ إنَّك كما قمت بالأعمال الصّعبة في الماضي قادر على القيام بما هو أصعب في الزّمن الآن، واقبل بالتحدّي الأكبر في الزّمن المستقبل.

د ـ أنَّ التفكير فيما تملك بموضوعية قد يُسهم في تنميته فلا تغفل.

هـ ـ أنَّ التعبير عمَّا يجول في نفسك قد يُمكِّنك من تصحيح ما يعلق بها من أخطاءٍ.

و ـ أنَّ مواصلة الحديث يُمكّن من توليد الفكرة وتطويرها أو تصويبها.

ر ـ أنَّ الاستغراب يجعلك في المواقف المفاجئة فلا تستغرب إذ كل شيء ممكن.

ز ـ أنَّ شرود الذهن يُضيَّع أفكارًا ثمينة فلا تشرد؟

ع ـ أنَّ القفز على الحقيقة مَعيبة فمن يقفز عليها لن يصيب هدفه.

غ ـ أنَّ التذكّر بعناية يُمكّن من استرجاع الماضي وتفحصه.

ق ـ أنَّ سقوط الجواهر على الأرض لا يحط من قيمتها.

ك ـ أنَّ التائهين في حاجة لإيقاظ وإلَّا سيظلون ضالين.

ل ـ أنَّ صناعة المستقبل تحدث النُّقْلَة.

وبما أنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة. إذن التعبير يُسهم في إظهار الكامن بالقول أو الفعل أو الاثنين معًا.

ولأنَّه لا ظاهر إلَّا ومن ورائه كامن، ولا كامن إلَّا ومن ورائه ظاهر؛ إذن: التعبير عن الذات يربط العلاقة بين الظّاهر والكامن.

ولهذا إذا أراد الأخصائي الاجتماعي النجاح في مهنته الإنسانية عليه بالآتي:

1) تحفيز العميل ليعبّر عن ذاته بإرادة.

2) ألَّا يُقاطع العميل أثناء انسيابه في التعبير عن ذاته.

3) ألَّا يستغرب أيَّ تشنجات تحدث أو تظهر على حركة العميل أو على كلامه نتيجة ارتباطها بكامن سالب.

4) ألَّا يستعرب أيَّ انبساطة وسرور تظهر على وجه العميل وحركته نتيجة ارتباطه بكامن موجب.

5) أن يستثمر نقاط الانبساط والسّرور التي تظهر بين الحين والحين أثناء المقابلة فيما يفيد إصلاح الحالة وعلاجها.

6) أن يعيد العميل للموضوع عندما يسرح عمّا يقول أو يتحدث.

وعليه: فلكل ذات مضمون قيمي يتمركز على المعتقد الديني والعرف الاجتماعي ومنظور الثقافة التي بها تتميّز كلّ حالة عن غيرها من الحالات الفردية والجماعيّة؛ ولأنَّ التعبير عن الذات تعبير عن المشاعر والأحاسيس الكامنة وعن الموروث الاجتماعي العام؛ إذن: التعبير عن الذات لم يعدْ مقتصرًا على إظهار الكامن الفردي، بل يتعدّاه إلى المكوّن القيمي الاجتماعي (الدين العرف الثقافة التقاليد والعادات).

ولذا فالكامن من المشاعر والأحاسيس في أساسه مكوّن اجتماعي ما يجعل الفرد الذي تكوّنت شخصيته على المستوى الذاتي، يرفض أو يقبل قيميًّا ما يرفضه المجتمع أو يرتضيه؛ ولذا عندما يضع رغباته وآرائه على كفّته في مواجهة كفّة الذات (المكون الاجتماعي) يجد كفّة المجتمع (الذات) أثقل قيميًّا من كفَّته الخاصّة؛ فيميل في مستواه القيمي الذاتي إلى حيت رُجِّحت كفَّة المجتمع.

ولأنَّ لكل فرد من أفراد المجتمع مشاعره الخاصّة وأحاسيسه الخاصّة؛ إذن: بالضرورة التعبير عنها يتنوّع ويتعدَّد بتعدّد أفراد المجتمع.

ولذا لا يوجد أسلوب واحد للتعبير عن الذّات الاجتماعية فلكل مفردة من مفردات المجتمع البشرية خصوصية تتميّز بها عن بقية المفردات الأخرى، برغم أنَّ الإطار المرجعي لأفراد وجماعات المجتمع واحد؛ ولهذا نجد ما يكوِّن الذَّات الاجتماعية واحد سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي أم المجتمعي.

وعليه: مع أنَّ الذّات مفردة في اللغة إلَّا أنَّها ذات تكوين جمعي (اجتماعي) في الدّلالة والمفهوم والمصطلح إذ لا يمكن أن تتكوَّن الذَّات لو لم يكن للمجتمع لغة وعادات وأعراف وأديان وثقافات، فالذّات نتاج مجموع الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة.

ولكن متى تتنوع أساليب التعبير عن الذات؟

. عندما تختلف المواضيع.

. عندما تختلف المصلحة.

. باختلاف المعارف والثقافات.

. باختلاف القدرات والمهارات والاستعدادات والخبرات المتعدِّدة.

. عندما يختلف الجنس والعمر.

. عندما تختلف المهنة والحرفة والوظيفة.

. عندما يختلف الدّور والاختصاصات والصّلاحيات.

باختلاف الزّمان والمكان والمعتقد.

باختلاف القيم وتعدّدها.

ولهذا، قد يتساءل البعض: عن الكيفية التي بها تتنوَّع أساليب التعبير عن الذات (كيف تتنوَّع)؟

أقول:

. بالمراوغة والمهارة والمران.

. بالنكوص أو الانسحاب أو التطلّع.

. بدرجة الصّدق أو الكذب والمستوى القيمي الذي عليه الحالة.

. بدرجة الاستنتاج أو الاستنباط والإدراك.

. بقوَّة العزيمة أو ضعفها.

. بالشّجاعة أو الجبن أو الخوف.

. بالقوَّة أو الضّعف.

. بدرجة الثّقة ومستواها.

. بالحجَّة والبرهان والحوار.

بالمصلحة والمنفعة أو الطمع.

. بأساليب القبول والرّفض.

بالفرح والغضب.

. بالمتوقَّع وغير المتوقَّع.

ومع أنَّ الذَّات تعمل على ضبط الأنا وفقًا لقيم المجتمع الذي تنتمي إليه الذَّات فإنَّها (وفي كثير من الأحيان) قد تفلت الأنا من الذّات، وأيضًا قد تفلت الذّات من مراقبة الضمير بالرّغم ما يقوم به من محاولات ضبطيَّة.

ولأنَّ الذَّات مكوّن قيمي اجتماعي؛ فهي نتاج قيمي من الأديان والأعراف والعادات والتقاليد السّائدة في المجتمع؛ فالذي يجعل الفرد أو الجماعة تسأل أو تُجيب أو تعترض بلسان (النّحن) أو ترفع صوتها به، هو: المكوّن القيمي الاجتماعي؛ ولهذا يتألَّم الفرد بآلام الآخرين وبخاصة الذين تربطهم به علاقة قربى، أو علاقة معتقد ديني ما يجعله يغضب من أجل ذي القربى ويغضب من أجل الدين إذا ما حاول البعض انتهاكه والإساءة إليه كما حدث لكل مسلم عندما نشرت صحيفة دينماركية صور لا تليق بالرّسول محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام، ولا تليق بنا نحن المسلمين. ولذا عندما يتشرَّب الأفراد أو الجماعة دين الأمّة يصبح صوتهم هو صوت الأمّة بحالها مع أنَّهم أفراد منها؛ ولهذا يقبلون بالتضحية في سبيل الوطن ورفعة الكرامة.

ولذا تتعدّد مجالات الامتداد الضميري اجتماعيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا ونفسيًّا وذوقيًّا وثقافيًّا بما يُكوّن الأنا التي تعتزّ بشخصها وبتاريخها وتتغنَّى بأمجادها، وبما كوَّن ذاتها التي أظهرت وأبرزت شخصية الاعتزاز في النفس حتى نالت احترام وتقدير الآخرين.

إذن: تتجَسد الذات في الأفراد فتجعل حال لسانهم جمعيًّا حتى وإن انفردوا أو تفرّدوا، ولهذا كان إبراهيم عليه السَّلام أمّة قانتا لله؛ إذ كان حال لسان إبراهيم حال لسان أمته، مما يدلُّ على تجسّد الأمّة وفضائلها الخيّرة وقيمها الحميدة في نفسه حتى أصبح حال لسانه لسانها وفعله فعلها وأمانيه أمانيها، وهكذا إذا تجسدت في أي فرد ذات الأمّة أو المجتمع يصبح حاله حالها وأمله أملها ومستقبله مستقبلها وعزّته عزتها وألمه ألمها وكرامته كرامتها.

وعليه: فإنَّ التعبير عن الذات يمكّن من التنفيس الوجداني؛ ولهذا فالقاعدة هي:

التعبير الوجداني.

والاستثناء هو:

الكبت الوجداني.

وعليه:

. عبّر عن نفسك.

. نفّس عن وجدانك.

. فرّغ همومك.

. عبّر بحرّيَّة تامَّة عن مشاعرك.

. افرح مع الفرحين.

. اغضب من أجل كرامتك.

. تكلّم وقت الكلام وإلَّا ستندم.

. اصمت وقت الصّمت وإلَّا ستندم.

. تجاوز الندم بعدم تكرار مسبباته.

. تطلّع لكلِّ مفيد ونافع، واشترك في السّباق والمنافسة حتى ترضى نفسك عنك.

ولأنَّ استبصار الذَّات يُمكِّن من معرفة المقدرة، إذن: من لا يستبصر ذاته لا يتمكّن من معرفة مقدرته، وبالتَّالي لن يستطيع أن يتخذ قرارًا ناضجًا وسليمًا.

ولأنَّ الاستبصار يرتبط بالبصيرة، والبصيرة ملكة عقلية تُمكِّن الإنسان من التمييز بين ما يجب الإقدام عليه، وما يجب الإحجام عنه، إذن:

. أيقظ قواك تكسب مقدرة.

. فكّر، فالتفكير قوَّة.

. استنتج لتتمكَّن من التمييز عن وعي.

. أنصت إلى الكلمة حتى توقظ فيك الفكرة.

. شاهد لتقارن وتُميّز.

لذا؛ فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهمية استبصار ذوات العملاء حتى يتمكّن من اكتشاف القوَّة فيهم ويتمكّن من تسخيرها وتوجيهها لما يجب؛ ولهذا يعد استبصار الذات إدراكًا لمقومات النهوض؛ فأيقظ قواك تستبصر ذاتك.

غرس الثّقة يمكّن من الاتزان الوجداني:

(غرس الثّقة إدراك عن حكمة وموضوعية لكلِّ ما يؤثِّر سلبيًّا أو إيجابيًّا على ما يحقّق التفاعل المتزن بين أفراد وجماعات المجتمع يصقل الشخصيَّة ويتوّج سلوكها بالثبات على كل مفيد ونافع، مع إظهار الحُسن الإرادي في القول والفعل؛ تهذيبًا للذَّات والضمير، وتقديرًا لمن هم في مركز البيئة الاجتماعية ومن في محيطها الإنساني).

يحتوي مبدأ (الاتزان الوجداني) القواعد القيمية الآتية:

. الإدراك عن حكمة.

. الإدراك بموضوعية.

. تقصي الأثر السَّالب.

. تقصي الأثر الموجب.

. التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

. التفاعل المتّزن.

. إعداد الشخصية قيميًّا.

. ثبات السُّلوك على المفيد.

. ثبات السُّلوك على المنافع.

. إظهار الحُسن في القول.

. إظهار الحُسن في الفعل.

. تهذيب الذّات.

. تهذيب الضّمير.

. التقدير المتبادل.

. تقصّي الأثر السَّالب والموجب.

. تحقيق التفاعل.

. تقدير الفعل.

. تقدير السّلوك.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (الاتزان الوجداني):

1 . إدراك حقيقة أفراد المجتمع كما هي والتنبيه على تغييرها لما يجب أن تكون عليه.

2 . تمكين أفراد المجتمع في مجالات التعليم والعمل وممارسة الأنشطة حتى يتمكَّنوا من التمييز بين ما يجب وما لا يجب.

3 – تحفيز العملاء إلى كلِّ ما من شأنه أن يُسهم في تحقيق الاتزان الوجداني والمعرفي مع النفس ومع الآخرين.

4 – حث العملاء على تجنب مغالبة العواطف.

5 . توعية الأفراد الذين يخضعون للدراسة بما يُمكّنهم من معرفة ما لهم وما عليهم حتى يتمكّنوا من الإقدام على ما يجب والابتعاد عمَّا لا يجب.

6 . دفع أفراد المجتمع إلى التعاون والمشاركة الفعَّالة في أمور مجتمعهم الحياتية، كلّ حسب استطاعته وتخصّصه ومهاراته وخبراته.

7 – تقبُّل الأفراد والعملاء كما هم مع الابتعاد عن تجريحهم أو استفزازهم بالانتقادات المحرجة.

8 – إشعار الأفراد والجماعات الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي على دراسة حالاتهم بأهميتهم ومكانتهم الإنسانية.

9 . دفع الأفراد إلى التفاعل المتّزن المحقق للرّضا النفسي والاجتماعي والإنساني، وبكل موضوعية.

10 . تحفيز الأفراد على التمسّك بالقيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية التي تؤكّد كرامتهم.

11 – تحسيس الأفراد والعملاء بقدرات الأخصائي وتنوّع مهاراته وخبراته ومرونة أسلوبه، حتى ينال الثّقة منهم ويتولّد عندهم الشعور باقتراب الأمل الذي يتوقَّعونه من جهوده المهنيَّة.

12 – استيعاب الأفراد والجماعات، وإشراكهم في مركز الحدث (موقفهم الإشكالي).

13 . حث الأفراد والجماعات على المشاركة البناءة في كلِّ ما يُفيد اجتماعيًّا وإنسانيًّا وبما ينمي روح التطلّع والطّموح وصناعة المستقبل.

14 . المساهمة في إعداد وصقل الشخصيّة اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

15 . تحفيز أفراد المجتمع على تشرُّب القيم والفضائل الاجتماعية التي تَدعَمُ وتسند سلوكهم الإنساني.

16 . تمكين أبناء المجتمع من المشاركة في كلِّ نافع ومفيد.

17 . تقوية الإرادة لدى أفراد وجماعات المجتمع، حتى يتمكَّنوا من المشاركة في تقرير مصيرهم، وتنفيذ ما يتعلّق به من أمر.

18 . العمل على تهذيب الذّات وإظهار الحُسن فيها.

19 . غرس روح المبادرة والإقدام في نفوس الأفراد والجماعات حتى يمتلّكوا معطيات التحدّي والاعتماد على الإمكانات الذّاتية والاستفادة من الإمكانات المتاحة للآخرين.

20 – تفهّم قدرات واستعدادات وإمكانات وحاجات العملاء الذين يتولَّى حالاتهم بالبحث والدّراسة الموضوعة.

21 – الثبات على الحُجّة قبل اتخاذ قرارات مستعجلة قد تعود بنتائج سالبة على العلاقة المهنية مع العملاء.

22 – تنمية قدرات التحليل النقدي لدى العملاء حتى يتمكّنوا من الفهم والتفسير الذي به يعرفوا مكامن الخلل التي وقعوا فيها وهم في حالة غفلة.

23 . تفطين العميل من غفلته عن ضبط مشاعره وترك العنان لها سائبة في حالة تمرّد على كلّ ما من شأنه أن يُسهم في تهذيبها قيمًا وسلوكًا؛ وذلك بهدف نيل الاحترام من المحيط الاجتماعي.

24 . استفزاز الضمير الاجتماعي والإنساني موضوعيًّا لدى الأفراد والجماعات حتى يتمكّن المجتمع بأسره من الصّحوة.

25 . غرس روح التقدير المتبادل بين الأفراد والجماعات الذين هم في مركز البيئة الاجتماعية والذين هم على محيطها.

26 – التأكيد على التوازن في لعِب الأدوار بإرادة وموضوعية.

27 – الوعي بأهميّة الرّابطة الاجتماعية بين أفراد الأسرة والمجتمع المحلي والمجتمع الإنساني بأسره، التي تحقق للأفراد الانسجام والتوافق مع بيئاتهم الاجتماعية.

28 – التأكِيد على أنَّ التفاعل المتبادل بين الأنا والآخر يُمكّن من إثبات الذات.

29 . غرس روح المنافسة البناءة في نفوس العملاء الذين يتولّى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدّراسة، مع تحفيزهم معنويًّا وماديًّا وفقًا للإمكانات المتوفرة في المؤسّسة، على المبادرة والإقدام على إنجاز الأفعال الموجبة والمرضية اجتماعيًّا.

30 . تفتيش العميل ومعرفة ما يجول في خواطره عن المؤسّسة والأخصائي الاجتماعي وتصحيح المعلومات الخاطئة بما يغرس الثّقة في نفسه ويدفعه إلى النظرة الموضوعية التي تخلّصه من كلِّ الظّنون.

31 . تقدير العميل على كلِّ فعل وسلوك إيجابي يقدم على أدائه أو ممارسته بإرادة، والأخذ بيديه إلى المزيد الموجه من قبل المؤسّسة والعاملين المهنيين فيها.

وعليه:

- حكّم عقلك وتحكّم في عواطفك.

.كُن لين القلب.

- لا تكن سريع الغضب.

- لا تكن عصبيًّا ومفرطًا في الحساسية.

- لا تكن جاف العاطفة.

- لا تكن متطرف الرّأي.

- لا تثر لأتفه الأسباب.

- لا تكن أنانيًّا فالأنانية عيب.

- كن واثقًا من نفسك.

- عامل النَّاس باحترام.

- بادلهم المحبَّة والود.

- كُن متَّزنًا فيما تقول وما تسلك وتفعل.

ولأجل ذلك:

. جمّع قواك لتعبر النّهر، فالعبور يحقق لك النُّقْلَة للمستقبل.

. شتّت قواك تغرق في النّهر، والغرق يفصلك عن بلوغ المستقبل.

. اعمل على صناعة المستقبل يتحقّق لك العبور.

. فكّر فيما أنت تفكر فيه وأنت فيه تفكّر.

وبما أنَّ تجميع القوَّة يُمكّن من عبور النّهر، فإنَّ الذين غرقوا في البحار هم الذين لم يتمكّنوا من تجميع قواهم؛ ولذا فمن يستطع أن يجمّع قواه يتحدّى الصّعاب ويعبر النّهر، ومن لا يستطيع يركن إلى الضّعف ويغرق.

ولكن من الذي يستطيع أن يجمّع قواه إذا ما واجهه غير المتوقَّع؟

هو الذي يتمالك نفسه باتزان حتى يتمكّن من اختراق دائرة الممكن في الزّمن غير المتوقَّع.

ولهذا لا يمكن أن يحدث الغرق إلَّا في حالة الضعف.

ولسائل أن يسأل:

كيف أصنع المستقبل لأعبر النَّهر؟

إذا أردت أن تعبر النّهر عليك بالآتي:

1 . فكِّر بقوَّة.

2 . خطط عن وعي.

3 . جمّع إمكاناتك الممكنة.

4 . شارك الآخرين بقوَّة.

5 . حدّد الخطر الذي يعترض طريقك.

6 . اقدم على إزالته من أمامك.

7 . اقتل الخوف بلا تردّد.

8 . تحدَّ الصّعاب.

9 . لا تنام أكثر مما لا يحتاجه البدن.

10 . قدّر الوقت واجعل له قيمة.

11 . استثمر إمكاناتك.

12 . نمِّ طاقاتك.

13 . هيئ استعداداتك.

14 . نوَّع مهاراتك.

15 . عدّد خبراتك.

16 . اخش ضميرك قبل أن تخشى الآخرين.

17 . اصنع بيديك من الخشب قاربًا.

18 . اقدم على النّهر تدفعك مياهه إلى المستقبل الذي صنعته.

19 . تقدّم بقوَّة والهدف نصب عينيك، ولا تنس أنَّ من ورائه غاية من ورائها مأمول لابدّ لك من نيله.

وعليه:

العميل الذي قام بجمع الخشب صنع قاربًا وعبر النّهر.

أما العميل الذي لم يَقم بجمع الخشب، فلم يصنع قاربًا ولم يعبر النّهر؛ ولذا من لا يعبر النّهر ليس له إلّا الغرق، ومن يعبره يطوي المسافة بين ماضيه والمستقبل الذي كان مجرد أمل بالنسبة له.

غرس الثّقة اعتبار خصوصيَّة:

(غرس الثّقة يعد اعتبارًا للشخصيَّة التي تتميّز عن غيرها كما غيرها يتميّز عنها بخصوصيّته قدرةً واستطاعةً ودينًا وثقافةً ومهارةً وتعليمًا وغاية، مع تقدير ما يميّز كلّ خصوصيّة عن غيرها، وبما يؤكد على أهمية استيعاب البعض للبعض).

يحتوي مبدأ (اعتبرا الخصوصية) القواعد القيمية الآتية:

. اعتبار القيم.

. اعتبار القدرات الخاصّة.

. اعتبار الاستعدادات الخاصّة.

. اعتبار الإمكانات الخاصّة.

. تقدير مميزات الخصوصيّة.

. تقدير العرق.

. تقدير الدّين.

. تقدير العرف.

. تقدير الثّقافة.

. تقدير الحضارة.

. مراعاة الظّروف.

. تقدير الغايات.

. تحقيق الطمأنينة.

. تحقيق الرّضاء النفسي.

. تحقيق الرّضاء الاجتماعي.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (اعتبار الخصوصيَّة):

1 . الوقوف على كلّ ما يميّز الأفراد والجماعات من خصوصيّات على مستوى قدراتهم وإمكاناتهم ومهاراتهم وخبراتهم، ودفعهم إلى القيام بالمهام والواجبات التي يعتقد الأخصائي أنَّهم سيحقِّقون النجاح فيها.

2 – اعتبار الفروق الفردية في تناول الحالات بالبحث والدّراسة مع مراعاة المستويات القيميّة لكلّ حالة فردية أو جماعية أو مجتمعية.

3 – إتاحة الفرصة أمام العملاء، لممارسة أفكارهم وقناعاتهم وقيمهم، بما يعمل على إثبات ذاتهم وتأكيد خصوصيّاتهم وتميزهم في الأداء مع مراعاتهم لأخلاقيات المجتمع ونظمه وقوانينه.

4 . العمل مع العملاء مهنيًّا دون توتّر وانزعاج، وتقبُّلهم كما هم عليه من ثقافة، وسلوك انحرافي، وتسخير إمكانات المؤسّسة المتاحة في عمليات الدّراسة الخمس (جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالات وعلاجها وتقويم ما بذل من جهد مهني بكلِّ موضوعية.

5 . اعتبار القدرات الخاصّة بأفراد وجماعات المجتمع دون أيّة استهانة بها، وأخذها موضع جد في رسم السياسات والاستراتيجيات الاجتماعية.

6 – إتاحة الفرصة أمام العملاء والزّبائن أو الجماعات للمناقشة الجماعية والحوار المبني على الحُجّة والمنطق في كلّ ما يتعلق بهم من أمر، بما يشعرهم بأهميّتهم ومكانتهم، وبما يحسسهم بتقديرهم القيمي.

7 – إشراك العملاء في عمليات الدراسة الخمس، بما يولّد الثّقة لديهم في الخطط والبرامج النابعة من أجلهم، وبما يحقّق النجاح في مشاركاتهم الموضوعية.

8 . اعتبار الاستعدادات الفردية والجماعية والمجتمعية وإعطاؤها الأهمية في أداء المهام وتوزيع الأدوار والاختصاصات والصلاحيات القانونية التي تنظم حياة المجتمع.

9 . التعرف على الإمكانات الماديّة المتوفّرة في المؤسّسة الاجتماعية ومدى ملازمتها لعملية الإصلاح المهني الذي تمّ تحديده بناءً على دراسة وافية.

10 . مراعاة الإمكانات المادّيَّة والبشريّة المهيأة والمعدة لتنفيذ البرامج الإنتاجية أو الإصلاحية، وتوزيعها وفقًا للأدوار والحاجات الماسّة لأداء الوظيفة أو المهمة المستهدفة بالإنجاز.

11 . اعتبار خصوصيّة كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ مجتمع دون انحياز لخصوصيّة على حساب أخرى، مع تقدير العلاج المناسب لكلّ حالة دون أيّ تعميم.

12 . مراعاة الخصوصيّة الدينية وتقدير المجتمع في اختياراته للدين الذي يراه مناسبًا وصالحًا لمصدر تشريعه ومعتقده في تنظيم العلائق بين أفراده وجماعاته.

13 – التوعية بإقامة الندوات والمحاضرات وإحياء المناسبات الوطنيّة والدينيّة، وإعداد البرامج التأهيليّة بهدف تنمية قدرات واستعدادات أفراد المجتمع أو العملاء والزبائن، وتنمية مهاراتهم المتعدّدة، بما يزيد من قدراتهم الإنتاجية والإبداعية.

14 – توجيه الأفراد والجماعات للعمل كوحدة واحدة، بما يحافظ على حقوقهم وواجباتهم ومسؤولياتهم وبما يقوّي الرّابطة الاجتماعية بينهم، تأكيدًا على شعورهم بالنحن كإحساس مشترك.

15 . ترشيد الأفراد باحترام القوانين المنظّمة للمجتمع، وتفطينهم من الغفلة التي هم فيها، حتى لا يقعوا تحت طائلتها ثانية في مؤسّسات الإصلاح الاجتماعي، فالقانون كما يقولون لا يحمي المغفلين.

16 . غرس الثّقة في الأفراد عن طريق التعامل بأسلوب حضاري وذوق رفيع.

17 . مراعاة الخصوصية العُرفية في تنظيم علائق الأفراد والجماعات والمجتمعات، وتقدير الذين ينتهجون بها سبل حياتهم، مع معرفة أنَّ أفراد المجتمع لا يقدّرون من لا يُقدِّر أعرافهم ويحترمها.

18 – التدخل المهني في الوقت المناسب، وبما يتوافق مع كلّ مرحلة من مراحل نمو الجماعة، وتبيان ما يناسب كلّ مرحلة أو مستوى من المستويات القيمية لشخصيات أعضاء الجماعة من حيث درجات التدخل وفقًا لكلّ ظرف من ظروفها الخاصّة.

19 . اعتبار الخصوصيّة الحضاريّة والثقافيّة التي تشكل كبرياء المجتمع وتحدّد هويّته وتبرز شخصيّته وتميّزها بين شخصيات الآخرين.

20 . مراعاة الظروف الخاصّة بكلّ حالة والخاصّة بكل مفردة من المفردات البشرية المشتركة فيها.

21 . تحفيز الأفراد على التمسُّك بقيمهم وفضائلهم الاجتماعية والإنسانية المحققة للرّضا والرّقي الاجتماعي.

22 . تصحيح المعلومات الخاطئة التي تشرّبها الأفراد وأثرت سلبًا على قيمهم الاجتماعية بمعلومات صائبة.

23 . تقدير غايات المجتمع وطموحاته والعمل على تشجيعه وتحفيزه على المثابرة التي تُمكِّنه من تحقيق ما يتمنّى من منافع وفوائد وخيرات.

24 . إشعار العملاء بأهميّتهم الاجتماعيّة والإنسانيّة وأنَّ المجتمع في حاجة ماسّة لهم ولجهودهم، وإشعارهم بأنَّ المجتمع سيغفر لهم أخطاءهم التي وقعوا فيها عن غير عمد. وتطمينهم بأنَّه لا عيب فيهم، بل العيب في المعلومات الخاطئة التي تشربوها عن غير وعي.

25 . إشعار العملاء والزبائن بالامتنان المحقق للرضاء النفسي أثناء إجراء عمليات الدراسة (جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة والعلاج والتقويم).

26 . إصلاح حالات العملاء وتمكينهم من أداء وظائفهم الاجتماعيّة والإنسانيّة.

27 . تفطين الأفراد إلى أهميّة تحديد أهداف كلّ ما يقدمون عليه من عمل خاصّ أو عام ليتمكّنوا من إحداث النُّقْلَة.

28 . تفطين أفراد وجماعات المجتمع ومؤسّساته إلى أهميّة رسم الخطط والاستراتيجيات في دائرة الممكن حتى يتمكّنوا من تفادي الاستغراب والمفاجأة.

29 . إشعار العملاء برضاء المجتمع عليهم من جرّاء ما يقومون به أو ما يشتركون فيه من عمل نافع ومفيد.

ولأنَّ الحالات قيد البحث والدراسة من قبل الأخصائي الاجتماعي وإن اتحدث أو اشتركت في النَّوع تختلف باختلاف قدرات واستعدادات أصحابها، فهي ذات خصوصيَّات لا يجوز تعميمها، بل كلّ حالة كيان بذاتها، لها ما لها من العلل والأسباب والظروف التي تستوجب تفهّم الأخصائي لها إن أراد تحقيق نتيجة موضوعية مرضيَّة، وفوق كلّ هذا إن لم تغرس الثقة في نفوس العملاء فلا إمكانية لمعرفة الحقائق وكشف خفاياها.

ولهذا لا يُمكن أن يتم استيعاب العملاء ودراسة حالاتهم بموضوعيّة ما لم يتم التعرّف على خصوصيّة كلّ منهم وتقدير كلّ خصوصيَّة: ولذا يكمن الاستيعاب في اعتبار الخصوصيّة وغرس الثّقة في أصحابها مهنيًّا، أي: يجب وضع الخصوصيّة في الحسبان، وعدم إسقاطها من أيِّ حساب.

وعليه:

. قدِّر خصوصيّة الآخر تُقدّر.

. اعترف به يعترف بك.

. اعتبره يعتبرك.

. تفهّم ظروفه الخاصّة يتم تفهّمك.

وعليه: فإنَّ عدم الاعتراف بالخصوصيّات أو الاعتداء عليها يعد تقليل شأن فيواجه بمقاومة عنيفة؛ فعلى سبيل المثال: العرف يمنح أصحابه خصوصيّة قيمية اجتماعية، والدين يمنح أصحابه خصوصية عقائدية، وهكذا اللّغة والثّقافة والتقاليد جميعها تمنح لأصحابها خصوصيات مختلفة ينبغي أن تقدّر، وإلّا لن تجد الثقة مكانًا لتغرس فيه وتنمو نبتة مثمرة؛ ما يجعل الاعتداء عليها اعتداء على الذات أو الضمير الجمعي أو الاجتماعي؛ ولهذا:

. قدّرني أقدّرك.

. اعترف بي اعترف بك.

. اغرس الثقة في نفسي اغرسها في نفسك.

. استوعبني استوعبك.

وفي المقابل:

. لا للتهميش.

. لا للإقصاء.

. لا للتغييب.

. لا لتقليل الشأن.

ولهذا يُعد اعتبار الخصوصيَّة مبدأ مهنيًّا تحقيقه يُحقّق الطمأنينة النفسية المأمولة من كلِّ إنسان سوي، فاعتبارها يطمئن الأنا والذات ويحفِّزهم على الاستيعاب والتفاعل والتفهّم أو الوحدة والاندماج.

ولأجل أن تتأكد الطمأنينة ويتحقق الاعتبار يجب مراعاة الآتي:

1 . أن يقدّر الإنسان.

2 . أن يُعترف به وبقدراته واستعداداته، وإمكاناته، وحقوقه، وواجباته، ومسؤولياته.

تفهُّم الظروف فسحة ثقة:

(إدراك الحقائق وتفهّمها بوعي، وعدم غضّ النّظر عمَّا يتعلَّق بالفرد أو الجماعة أو المجتمع له الأثر الإيجابي فيما ينبغي أن يستبصره الأخصائي الاجتماعي تجاه الأهداف العامَّة للمجتمع، مع تقدير تلك الظّروف بموضوعية).

يحتوي مبدأ (اعتماد التفهُّم) القواعد القيمية الآتية:

. إدراك الحقائق.

. تفهّم الحقائق.

. الوعي بالحقائق.

. تفهّم الظّروف

. تقدير الظّروف.

. استبصار الحقائق.

.كشف الأثر.

. إنجاز الأهداف.

. الاستقراء الموضوعي.

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (اعتماد التفهُّم ثقة):

1 – توسيع آفاق التفكير لدى الأفراد والجماعات بالمعلومات الصّائبة، يقودهم إلى الإدراك الواعي الذي يمكّنهم من حُسن إدارة حياتهم،

ومن ملاحظة أفعالهم وسلوكياتهم بوعي: حتى يصلوا إلى التمييز بين ما يجب ومالا يجب.

2- تفكيك المشكلة قيد الدّراسة والبحث من أجل جعلها أكثر وضوحًا أمام من يتعلّق الأمر بهم من أفراد وجماعات ليتعرّفوا على العلل التي تكمن وراءها، ويتهيؤوا للتغيير.

3 . إدراك حقائق الموقف أو الظاهرة أو المشكل أو الموضوع قيد البحث أو الدراسة.

4 . إدراك الحقائق بموضوعية عن الحالة حتى يتمّ تحقيق الأهداف عن وعي وبما يؤدّي إلى تقديم المساعدة الهادفة للعميل.

5 . التشجيع على التزود بالخبرة التي تُسهم في إنجاح عمليات الدّراسة وإصلاح حالات الأفراد.

6 – استيعاب أعضاء الجماعة، بتفهّم مشاعرهم واستعداداتهم، وتقدير أفكارهم، واحترام آرائهم بما يساعدهم على الإنجاز الفعّال وفق خطة مرسومة ومقرَّرة.

7 – تشجيع الأفراد والجماعات على إظهار ما لها من آراء ومهارات وخبرات حتى يتمّ استثمارها الاستثمار الأمثل بما يفيد الجميع.

8 . تفهّم الحقائق الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة قبل اتخاذ أيِّ إجراء تجاه المجتمع أو تجاه الظاهرة أو الموقف الإشكالي.

9 . الإلمام بالحقائق المتعلّقة بالموضوع أو الظاهرة الاجتماعية والوعي بما يدور تجاهها من قبل الأفراد والجماعات المحليّة والمجتمعات الأخرى.

10 . اتباع أساليب مرنة في تناول الحالات المدروسة حتى يتمكّن العميل من تقبُّل الأخصائي وغرس الثّقة فيه ومن ثم تحقيق الإصلاح.

11 – ممارسة أسلوب الحوار الديمقراطي فيما يتعلّق بممارسة الحقوق وتأدية الواجبات وحمْل المسؤوليات.

12 – معاونة أعضاء الجماعة على القيام بأدوارهم، وحلّ ما يعترض هذه الأدوار من مشكلات.

13 . استيعاب ظروف الأفراد بموضوعية وتقديرها حتى الوقوف على الأسباب والعلل الكامنة وراءها وتصحيحها بمعالجات منطقيّة وموضوعيّة.

14 . تفهّم الظّروف الداخلية والخارجية للمجتمع، والمستوى القيمي الذي عليه حالة أفراده وجماعاته.

15 . تقدير ظروف المجتمع من حيث الإمكانات والاستعدادات والقدرات والخبرات والمهارات، قبل رسم المجتمع لسياساته وخططه المستقبليّة.

16 . تحديد إمكانات واستعدادات وقدرات العميل والعمل من خلالها على تغيير أحواله إلى ما هو أنسب وأفضل اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

17 – تنمية وتطوير شخصيَّات الأفراد والجماعات بما يناسب كلّ عضو ووفقًا لقدراتهم واستعداداتهم مع مراعاة الفروق الفردية التي يتميّز بها كلّ منهم.

18 – توزيع الأدوار وفقًا للصلاحيّات والاختصاصات المناطة بكلّ فرد أو كلّ عضو من الأعضاء، تجنُّبًا لحدوث صراعات بين أعضاء الجماعة، حيث تعدّد المسؤوليّات المتعلّقة بكلّ دور.

19 . استبصار الحقائق كما هي والعمل على تغييرها بجهود أفراد المجتمع المشتركة إلى ما يحب أن تكون عليه.

20 . السعي إلى معرفة كل ما يترك أثرًا موجبًا، أو أثرًا سالبًا على نفسية المجتمع أو على قيمه التي تشكّل هويّته، والعمل على تصحيح الأفعال والسلوكيّات ذات الأثر السّالب بإجراءات إيجابية.

21 . تفهّم ظروف العملاء والمستويات القيمية التي هم عليها حتى يتمّ إدراك الحلول والمعالجات الواجبة الأداء.

22 – تخفيف حدّة التوتر النفسي الناجم عن شعور عضو من الجماعة بعدم تقبلها له، نتيجة لفشله في أداء الأدوار المتوقَّعة منه وتحفيزه بقوَّة الدّافعية للقيام بممارسة الأدوار الأخرى المتنوِّعة، وكل حسب جهده واهتمامه ودرجات تفضيلاته، مع عدم الإغفال عن توظيف نظريات لعب الأدوار ونظريات التعلُّم.

23 – استثمار طاقات الجماعة وتوجيهها الوجهة الصّائبة وفق خطّة معدّة وأهداف محدّدة، من أجل التغيير إلى الأفضل.

24 . توجيه الأفراد لِما يُمكِّنهم من اكتساب العديد من المهارات المتنوّعة والخبرات المتعدّدة لإنجاز الأهداف وبلوغ الغايات التي تسعى إليها مهنة الخدمة الاجتماعية

25 . توجيه أفراد وجماعات المجتمع إلى كلّ فعل أو خبرة أو مهارة يُمكن أن تُسهم في إنجاز الأهداف التي يأمل المجتمع أن ينجزها أو يصل إليها.

26 . تحفيز الأفراد والجماعات نزلاء مؤسّسات الرّعاية والخدمة الاجتماعيّة على إدراك الحقائق كما هي، دون القفز عليها أو غض النظر

عنها وتناولها بالدراسة المعمّقة حتى تتبيّن الأطراف ذات العلاقة العلل والمسبَّبات التي تكمن ورائها، وتصحيحها وعلاج ما تركته من آثار سلبيَّة، ودفع أصحابها إلى ما يُمكِّنهم من بناء شخصيّاتهم على المستوى الأسري والمستوى الاجتماعي بشكلٍ عام.

27 ـ حث العملاء على اتباع أساليب مرنة، تُمكِّنهم من استيعاب الآخرين، وتُمكِّن الآخرين من تقبلهم والتعاون معهم، دون تحفّظات، حتى تسود بينهم علاقات التواد والتقدير المتبادلين.

28 – إعطاء العملاء الفرصة لفهم أنفسهم فهما أعمق؛ وذلك بتمكينهم من ملاحظة مواقف اجتماعية متنوّعة في الماضي والحاضر، بما يمكّنهم من إنارة بصائرهم والقدرة على التعامل بشكل أفضل.

29 – تحفيز العملاء بما يُمكّنهم من ممارسة الحرّيَّة وبشفافية حتى يتمكّنوا من التخلّص من عوامل الخوف، وأن يفسح أمامهم مجالات للتنفيس عن انفعالاتهم من خلال اللعب والتعامل مع مشاكلهم وحلّها بدلًا من غض النّظر عنها أو محاولة تناسيها والتنكّر لوجودها.

30 – مساعدة أفراد الجماعة على أن يجدوا لأنفسهم نشاطات يستطيعون من خلالها أن يعوِّضوا نواحي النقص أو الضعف فيهم، بتبني أنشطة تعويضيّة مقبولة اجتماعيًّا.

31 ـ تحديد وحدات الاهتمام حسب أولويات المجتمع في التغيير أو في صناعة المستقبل.

التفهُّم قيمة إنسانية:

ولأنَّ التفهّم قيمة إنسانية، فيأمله الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ ولهذا ينبغي أن يراعى أثناء جمع المعلومات، وأثناء تحليلها، وأثناء إجراء

عمليات التشخيص، وأثناء الوصول لعلاج موضوعي، وأثناء عمليَّات التقويم؛ أي: إنَّ تفهّم الظروف يعني: تقدير ما عليه الحالة من الناحية الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، بغاية الأخذ بأيدي من هم يعانون من تأزُّمات قيميَّة، وهم في حاجة لمن يمدّ لهم يد العون والمساعدة الهادفة؛ ولهذا عندما يتفهَّم الأخصائي الاجتماعي ظروف الأفراد والجماعات يتمكّن من الإلمام بها عن وعي هي كما هي ثم يتمكّن من الإصلاح أو بلوغ الحلّ.

ولذا تُركّز البرمجية القيمية في طرق مهنة الخدمة الاجتماعية، على قاعدة الوعي عن بيِّنة، باعتبارها من أهم القواعد التي تُسهم في إحداث النُّقْلَة للعملاء الذين هم في حاجة لأن يلعب الأخصائي الاجتماعي معهم أدواره المهنيّة حتى يبلغوا ما هم في حاجة إليه عن وعي وإرادة حرّة.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي القيام بالآتي:

1 ـ تمكين الأفراد والجماعات من المقارنة بين ما يجب وما لا يجب، حتى تُنَمَّى لديهم قاعدة الوعي والإلمام بالحقيقة.

2 ـ تنمية قدرات الأفراد والجماعات، وتهيئة استعداداتهم، واستثمار إمكاناتهم بما يمكّنهم من أداء وظائفهم ومهامهم الاجتماعية بنجاح ورغبة.

3 ـ تمكين الأفراد والجماعات من التأمّل والتفكّر فيما يُفيد ظروفهم حتى يستبصروا حالاتهم كما هي عليه، ويسعوا للتغيير.

4 ـ إعداد البرامج الاجتماعيّة والثقافيّة والترفيهيّة بما يدعم سبل الاتصال والتواصل مع الآخرين.

5 ـ دعم روابط التواصل مع الأسرة والبيئة الاجتماعيّة.

6. الاقتداء بالنماذج الناجحة، وتجّنب النماذج التي لم يثبت نجاحها.

7. طمأنة الجماعة بما يشعر أعضاءها بأنَّهم قدرات هائلة في مواجهة ما يعترض طريقهم.

8. تمكين أفراد المجتمع من ممارسة حقوقهم بإرادة.

9. تمكين الأفراد والجماعات من تأدية واجباتهم بإخلاص.

10. تمكين أفراد المجتمع وجماعاته من تحمّل مسؤولياتهم بأمانة.

11. تمكين العملاء من الحركة الحرّة التي تمكّنهم من التنقّل والسّفر والتطلّع والاطلاع على ثقافات الآخرين حتى تتوسع مداركهم.

12. التأكيد للأفراد بأنَّ كلّ شيء خارج دائرة المستحيل هو في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع)، ولذا كل شيء يُفكرون فيه ويمكن أن يُعمل هو ليس بمستحيل.

13. تنبيه الأفراد والجماعات بأهمية التقويم الذي يسند الجهود المبذولة بالسّلامة من العيوب والنقائص، ومع ذلك فالكمال لله وحده.

إذن: فمن الموضوعية أن يتفهّم الأخصائي الاجتماعي الظّروف التي ألمت بالعميل وجعلته نزيلًا في أحد مؤسّسات الإصلاح الاجتماعي، حتى يستطيع أن يدرس حالته دراسة موضوعيّة وافيّة، ومن بعد يصل معه إلى علاج يمكّنه من العودة إلى تأدية وظائفه الاجتماعية سويًّا.

وعليه:

. أدرك الحقائق بوعي وانتباه.

. حدّد أهدافك وضوحًا واعمل على انجازها.

. افطن بما يدور من حولك حتى لا تقع في الفخّ.

. أدرك الأشياء كما هي حتى لا تغالبك الأوهام.

. اسع إلى إنجاز ما يجب بعد إدراك وتفهُّم واستبصار وغرس ثقة.

لذا على الأخصائي مراعاة الآتي:

1 . أن يدرك بوعي العملاء وحالاتهم وظروفهم التي جعلتهم يتقدّمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

2 . الإلمام بظروف العملاء يجعله قادرًا على إدراك حالاتهم، ويجعله واعيًا بمسبّباتها وبعللها وبما يترتّب عليها من متغيرات تابعة، ما يجعله في حالة حيطة بما هو متوقَّع وما هو غير متوقَّع في دائرة الممكن.

3 . تفهّم وتقدير الظّروف التي يمرّ بها العميل، والمستوى القيمي الذي عليه حالته، ومستوى قدراته واستعداداته وإمكاناته.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي ألّا يغفل عن الآتي:

1 . استبصار مكامن العلل والمسبّبات للظواهر أو المشاكل حتى يتمكَّن من معرفة العلاج المناسب لحالات العملاء الذين يعانون من تأزُّمات قيميّة.

2 . إدراك حالات العملاء وظروفهم التي تجعلهم يتقدّمون للمؤسسة لطلب المساعدة.

3 . تفهُّم حالات العملاء والظّروف التي تلمّ بهم لأجل أن يتمكّن الأخصائي من إدراك العلل والأسباب الكامنة فيها، وما يجب أن يقوم به تجاه حالاتهم.

ولأنَّ التفهّم إعطاء فسحة قيميّة للمبحوث قيد الدراسة، وتقدير للظروف التي يمرّ بها العملاء، والمستوى القيمي الذي عليه حالاتهم، ومستوى قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم؛ فإنَّ قيم الاستبصار والإدراك والتفهّم هي قيم تمييزية، بها تتمُّ عملية الاستقراء والاستنباط لما يجب وما لا يجب حتى يستطيع الأخصائي الاجتماعي الإقدام عن وعي على دراسة الحالات بموضوعيّة إذ لا تمييز ولا أحكام مسبقة.

وعليه:

. استبصر ذاتك قبل أن تستبصر ذوات الآخرين.

. تفهّم ظروف الآخرين مثلما تتفهّم ظروفك.

. أدرك الآخرين مثلما تدرك نفسك.

. اعرف قدراتك واستعداداتك قبل أن تعرف قدرات واستعدادات الآخرين.

. اخرج من غفلتك إذا أردت أن تتطلّع إلى الآخرين وإلى ما هو أفضل.

. أقدم على صناعة مستقبل أفضل إذا أردت الإسهام في إحداث النُّقْلَة.

. صحّح معلوماتك الخاطئة قبل أن تَقدِم على تصحيح أخطاء الغير.

غرس الثّقة تفطّين ذاكرة:

الذّاكرة محفظة المعلومات والمعارف والمخزن الحصين الذي لا تكون مفاتيحه بيد الغير، إنّها مكمن الأسرار والصندوق الأسود للعقل البشري، الذي منه تستدعى المعلومة وفقًا للطلب أو الأمر المرغوب إرادة، وهنا تكون

المعلومة صادقة، أمّا إذا كان استدعاء المعلومة نتاج أفعال الكره والإجبار؛ فلا شكّ أنّها ستكون للضرورة ملبيّة للأمر، ولكنَّ الشكوك والظنون تحيط بها.

ولأنَّ الذّاكرة مكمن الأسرار، ومخزن المعارف والخبرات والتجارب الإنسانية، فهي قابلة لأن تُنشّط بمزيدٍ من الانتباه والدّراية من خلال عمليات التذكّر والتدبّر والتفكّر التي بها تغرس الثّقة في الإنسان؛ فينبغي على الإنسان أنْ يفكّر عن انتباه إذا أراد أن لا تضمر ذاكرته وتكون له مكانة، وعليه بتنشيط ملكات عقله من خلال المران الذّهني وإجراء عمليات المقارنة التي تمكّنه من التمييز بين الدّقيق والأدق منه، ومن ثمّ تمكّنه من التفكير المتوقَّع وغير المتوقَّع ارتقاءً؛ فالعقول دائمًا في حاجة لأن تُمرّن حتى تمتلك القوَّة التي تُلفت الإنسان لنفسه، وتيسّر له مشاهدة وملاحظة الآخرين وردود أفعالهم تجاه الغير.

ومن ثمّ؛ فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يستدعي محفظته من الذّاكرة ويخضعها للتقييم، ثمّ يقوّم حالته حتى يستبصر نفسه وما هي عليه، وما يجب أن يُغيره من أجل نفسه وأجل المهنة والآخرين.

فالإخصائي الاجتماعي إذا أراد ارتقاءً فعليه أن يستوضح نفسه مثلما يحاول استيضاح أنفس الآخرين؛ حتى يتمكّن من إزاحة النقاط المظلمة فيها، وأن يتنزّه في نفسه حتى يستبصر من هو؟ وما له؟ وما عليه؟ ثمّ يعمل على التصحيح، ويتحدّى عقله تفكيرًا في نفسه حتى يدرك أسرارها وخفاياها، ومن ثمّ، يعرف أنَّ قوَّة البصيرة بقوَّة التفكير فيها، وهي لا تضعف إلّا إذا دخلتها الغفلة وسيّرتها الشّهوة. ولهذا؛ فالفكر ارتقاء يمكّن الآخذين به من التفكير فيما يفكّرون فيه حتى يفكّروا فيما هو أحسن منه.

فتفطين الذّاكرة لا يكون إلّا نتاج الوعي بأهميّتها للإنسان الذي له من الآمال ما له، وله من ورائها آمال تحدث النُّقْلَة لكلّ مأمول نافع، فتفطين الذّاكرة ضرورة تستوجب حُسن التدبّر الذي يصنع المستقبل المشبع للحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، ويُمكّن من بلوغ الغايات العظام التي تجعل من الإنسان قيمة مقدّرة، فينبغي الارتقاء فكرًا وعلمًا ومعرفةً وخُلقًا، وأسلوبًا، وإلّا سيجد نفسه في منازل المستهلكين الذين يعيشون ليومهم عالة على جهود المنتجين والمبدعين وأهل الحُجّة والحكمة؛ فهم بهذه الأعباء يُجهدون المنتجين ويجذبونهم للخلف ممّا يجعل الفارق كبيرًا بين الجهد المبذول من أجل بلوغ قِمم الارتقاء، والحاصل المنتج الذي تُنتجه الصّفوة العاملة والمتطلّعة أملًا وارتقاءً.

ومع أنَّ الذّاكرة حافظة، ولكنّها قابلة لأن توسّع معرفة، وتُنشّط تذكّرًا من خلال تمكّنها من معرفة الموروث المعرفي الواسع، وتنشّط تدبّرًا من خلال حسن الانتباه والالتفات لما يجب وقت وجوبه، وليس بعد أن يفلت ويصبح ماضيًا، كما أنّها تُنشّط بالتفكّر الذي يمّدها بالحيويّة المحفّزة على بلوغ الأمل.

ولأنَّ الإنسان يولد اجتماعيًّا إذ لا إمكانية للعيش منفردًا، فهو في حاجة لمن يذكّره ويعلّمه كيف يتدبّر أمره وأمر من تربطه بهم علاقات، ومع أنّ هذه قاعدة ولكن كما يقولون: لكلّ قاعدة استثناء؛ فآدم وزوجه لم يمرّا بهذه المرحلة؛ وذلك بأسباب الخَلق الآدمي المتكامل، إذ لا طفولة لهما ولا مراحل نمو قبل النضج، فهما قد خُلقا على النضج خلقًا، وبالتّالي ليس لهما ما يتذكّران، ولكن بعد أن علّم الله آدم وأنبأه، أصبح لديه رصيد واسع من العلم والمعرفة؛ فيُمكنه أن يتذكّره، لِيُذكّر به الغير، {قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ

بِأَسْمَائِهِمْ}[4]؛ فتلك الأسماء التي أصبحت في محفظة عقل آدم، وتمّ استدعاؤها، أنبأ بها الملائكة حُجَّة؛ فسلّم الملائكة لآدم بعد إن كان الرأي اختلافًا.

ولكن على المستوى البشري من بعد آدم؛ فالتّجارب الإنسانية متشابهة، ويمكن تكرارها، فيكون النّظر إلى تلك التجارب من باب البحث عن حلولٍ علّها تكون ناجحة في معالجة ما يحدث، وهنا تكون النّظرة إلى الماضي من باب البحث عن كلّ ما من شأنه أن يسهم في الوصول إلى حلّ، حتى وإن كان افتراضيًّا؛ لأنَّ الكثير من المشاكلّ تحتاج إلى اتكاءات جديدة تكون قادرة على حلّها؛ فيحدث الانزياح المراد ضمن توليفة يُجمع فيها في بعض الأحيان حتى النقائض التي لا يتوقّع لها أن تجتمع في يوم من الأيام.

وقد يكون الخوف حاضرًا فيها، لكونه يمثّل الانطلاقة الأولى التي يكون على أساسها الوصول إلى الغايات المرجوّة، فالبحث عن اتفاق وحلّ يكمن من خلفه وجود خوف يحفّز ويرشد بطريقة أو بأخرى إلى تجنّب ما يجب تجنّبه وأخذ ما يجب الأخذ به؛ فيكون الاستشعار في هذا التوجّه قائمًا على درجة عالية من الحذر كي تكون النّهاية ملبّية للخوف المجنّب من الوقوع في السُفلية ومؤدّيًا إلى ارتقاء مأمول.

فالذاكرة محفظة المعارف والخبرات والتجارب الماضية التي يمكن الاتعاظ بها في زمن التدبّر، والوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي؛ فالتاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها،

[4] البقرة 33.

فيكون هذا الطلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة يشكل أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضية التي كانت السبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الذّاكرة للماضي فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانية تسير وفق نسق واحد بالرّغم من العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي، ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنية والمستقبلية حلولًا مهمة، إلاّ أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظّروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في بعض القضايا متحققًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ فتكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة تُمكّن الذاكرة وعيًا ويقظة.

وفي الذّاكرة يكتنف الماضي الكثير من التشكيلات التي يكون الوصول إليها يمثّل قراءة واعية بما أسبغه عليها من طروحات، ولهذا نجد يوما بعد يوم ظهور تأويلات مختلفة للماضي وقد تكون متناقضة، لكن هذا يدلّل على وجود حيّز كبير في الامتداد الفكري الذي يجوب أروقة الماضي ويقف عند محطاته الشّاخصة التي تكون فيما بعد دروسًا يستفيد منها من يبحث عن حلّ لما يمرّ به الإنسان، ولهذا وجب العمل على تفطين الذّاكرة من خلال تمرينها تدبّرًا، وتنشيطها تذكّرًا وتفكّرًا.

ومع أنَّ للذّاكرة علاقة بالتّاريخ من حيث إنّها محفظة أحداثه وقضاياه، ولكن التّاريخ دائمًا وما يحتويه من أحداث فيها من التشابه ما

فيها، وفيها من الاختلاف ما فيها، وفيها من المتوقَّع وما لم يكن متوقَّعًا، ونتيجة لما تحمله الذّاكرة من متناقضات تاريخية؛ فهي دائمًا في حاجة للتفطين والتنشيط حتى لا تُفقد العلوم والمعارف والخبرات والتجارب والعبر والمواعظ5.

غرس الثّقة يرسّخ المكانة:

المكانة تبوؤ مقام على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة والعمل المنتج والخُلق الرّفيع، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

المكانة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاءً إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلًا، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلًا؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائلًا؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك؛ فالتمسّك بالقيم لكونها قيمًا، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولًا وسلوكًا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربيةً وتعلّمًا وتعليمًا حتّى يجسدوها سلوكًا كما جسَّدها أهل المكانة.

---

[5] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 124 . 127.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍ قيمي قولًا وسلوكًا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكرامًا أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيمًا وفضائلًا لا يكون إلّا في دونية وسُفلية، ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم إذ لا مسؤولية ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا في الأماكن الدّونية التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملًا وسلوكًا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا؛ فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأن بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أنَّ للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له ألَّا يكون قيمة حميدة، ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قلبهم المتكبّرون بغير

حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[6]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارًا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرًا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبِّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيرين.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانية؛ ولذا ينبغي أن يتكبّر الإنسان عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا، لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه؛ فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

[6] البقرة، 34.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير) لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء؛ ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نومًا هادئًا وهنيئًا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نومًا آمنًا هنيئًا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليّات؛ مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع إذ لا قمّة سلطانية إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورًا؛ وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشّعب قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والفساد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[7]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خُلق ليكون إنسانًا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على

[7] آل عمران 14.

الدّار الدّنيا، ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثًا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي أن يتجاوز الحدود القيميّة والفضائليّة التي أقرَّ لها الخالق حدودًا، ليكون فائزًا في الدّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافةً تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهمًا بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسيّة والاقتصاديّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير؛ فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لابدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدًا لها لا يملك لنفسه شيئًا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[8].

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل؛ فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير؛ ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع.

[8] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

غرس الثّقة يمكّن من تصحح المعلومة:

المعلومة متنوّعة المعاني والمفاهيم، ولها من الدّلائل ما لها، وهي التي تؤسّس للمعرفة، وهي دائمًا في حاجة للتقصّي والاختبار، ولا تعد مسلّمة إلّا بعد التبيّن، ولهذا فكثير من المعلومات تحتاج إلى معلومات تصحّحها.

وتصحيح المعلومة الخاطئة يستوجب توفّر معلومة صائبة، والمعلومة الصّائبة تتطلّب لسان حقّ لقولها، ومستمعًا منصتا لها بكلّ اهتمام، وحَكمًا بها يفصل بين النَّاس؛ ولذلك فالقاعدة المنطقية والعلمية تنصُّ على أنّ:

. المعلومة متأرجحة بين صائبة وخاطئة.

. المعلومة تصحّح بالمعلومة.

. المعلومة السّالبة انحرافية.

. المعلومة الموجبة بنائية.

. التصحيح وجوبي.

ولأنّ الانحراف نتاج معلومات خاطئة.

إذن: الإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة.

ولهذا، وجب العلاج بتصحيح المعلومات التي جعلت من المنحرف منحرفًا؛ وإذا لم تُصحّح المعلومات الخاطئة، يصبح المجتمع مهددًا بتفشي الانحرافات فيه.

فالإصلاح في حاجة لمعلومات صائبة؛ ولذلك ينبغي أن تَحِلّ المعلومات الصّائبة محلّ المعلومات الخاطئة، ثم تُدعم المعلومات الصّائبة بأخرى أكثر صوابًا حتى يتمّ تثبيت القول الصّائب، والفعل الصّائب،

والسّلوك السّليم الذي ينال التقبّل والتقدير من الغير، لكونه لم يكن مخالفًا للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة التي تُمجّد من قِبل النَّاس.

وعليه: فالمعلومة الصّائبة بنائية: حيث احتواؤها للقيم والفضائل التي يرتضيها المجتمع الإنساني؛ ولذلك فالذات الإنسانية تُبنى بقيم وفضائل المجتمع التي تترسَّخ في العقول والقلوب، وتتجسّد في السّلوك والفعل، وعلى ضوئها تُبنى الشّخصية المتطلّعة لِما هو أفضل وأجود وأحسن، إذ الاستيعاب لكلِّ مفيد ونافع.

ولأنّ المعلومة الصّائبة تحمل في مضمونها قيمًا إنسانية؛ فهي التي تُمكِّن الإنسان من بلوغ المستوى القيمي الموضوعي، الذي ببلوغه تصبح شخصية الأفراد خالية من قيم التعصُّب والانحياز بغير حقّ.

وفي المقابل المعلومة الخاطئة، لا تنشئ الشخصيّة البنائيّة، بل تؤدّي إلى ظهور الشّخصية الانسحابيّة التي لا تصمد؛ فالشخصيّة الانسحابيّة هي التي تتخلّى عن بعض القيم التي يريد لها المجتمع أن تسود بين أفراده وجماعاته، وباستمرار الشخصيّة الانسحابيّة في الانسحاب من قيم المجتمع وفضائله التي يرتضيها، تصل إلى المستوى الأناني، الذي فيه لا يفكّر الفرد إلّا في نفسه.

وعليه: فالفرق كبير بين من تشرَّب معلومات صائبة، ومن تشرَّب معلومات خاطئة؛ ولأنّ المعلومة الصّائبة ذات حُجّة (مصادق)؛ فهي الأقوى، ولأنّ المعلومة الخاطئة تفتقد للحجّة؛ فهي الأضعف؛ ولذا فهي لا تصمد أثناء المواجهة مع المعلومة الأصوب (الأقوى)، ولأنّ المعلومة الصّائبة بنائية؛ فهي التي تصمد بقوَّة حجّتها حتى تهزم المعلومة الخاطئة وتحلَّ محلّها.

وعليه: فالقاعدة العلمية تقول:

. الانحراف عن الانحراف السّالب يُعد عودة إلى القاعدة، ولذا؛ فهو الموجب.

– الانحراف عن الانحراف الموجب يُعد خروجًا عن القاعدة، ولذا؛ فهو السّالب.

. الانحراف السّالب يُعد موجبًا بالنّسبة للمنحرفين (الخارجين عن قيم المجتمع وفضائله).

. الانحراف السّالب يُعد سالبًا بالنّسبة للمتمسّكين بقيم المجتمع وفضائله الخيّرة.

ومن هنا؛ فالقاعدة المنطقية والعلمية تعد تأسيسية لكلِّ بناء، ومنطلقًا لكلّ هدف، ومرجعيّة قيميّة لكلّ مجتمع؛ ولهذا تعد التربية على قيمها واجبة، ويعد إصلاح حال الأفراد وعلاجهم على قيمها الحميدة ضرورة اجتماعيّة وإنسانيّة؛ ولهذا فالإصلاح والعلاج واجب على المسئولين والأخصائيين الاجتماعين والنّفسيين وعلى التربويين وعلى الأطباء، وضرورة للمريض والمنحرف عن القيم والفضائل الاجتماعية والإنسانية، وكما هو ضرورة لهم؛ فهو ضرورة لذويهم وللمجتمع الإنساني عامّة.

ووفقًا لدائرة الممكن؛ فإنَّ الخروج عن القيم التي يرتضيها المجتمع هو متوقَّع، ولا ينبغي الاستغراب بما أنّنا نتوقّعه قبل حدوثه في أيّ مجتمع من المجتمعات البشرية.

المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل:

ولأنّ المعلومة تؤثّر في المعتقد والفعل؛ إذن: فالتأثير السّالب نتاج المعلومات الخاطئة، والتأثير الموجب نتاج المعلومات الصّائبة.

فنحن بنو الإنسان نتعلّم بالمعلومة التي تشغل المساحة بين مُرسل ومستقبل، وبين منتج لها ومستخدميها، وبها يبلغ المختلفون الاتفاق، أو الخلاف؛ وهي العابرة للعقول والعابرة للحدود؛ ومن ثمّ فهي لا تسجن، وإن سُجن أصحابها المصدِّرون أو الموردون لها.

ولأنّ المعلومات هي التي تشكّل آراءنا وقناعاتنا بما تحمله من حُجج وبراهين؛ فهي التي تشكّل معتقداتنا أيضًا؛ ولذلك ستظل المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع سواء أكانت سالبة أم موجبة.

ولأنَّ كلّ شيء ممكن ولا استغراب ولا يأس؛ إذن: وجب على النَّاس التبيّن قبل إصدار الأحكام، وعليهم بعدم المكابرة عن التصويب إن اكتشفوا أنّهم كانوا من المخطئين، أو أنّ خصمهم كان من المخطئين وقد تبيّن. وعليهم دائمًا بالمعرفة الواعية حتى لا تجرّهم العاطفة وينقادوا وراءها إلى حيث ما لا يجب، وعليهم أن يميّزوا بين المعلومات الصّائبة والمعلومة الخاطئة؛ وذلك لأنّ:

– المعلومة الصّائبة في دائرة المتوقَّع تُظهر القوَّة البنائيّة والأخلاقيّة والإنسانيّة والإصلاحيّة والوقائيّة والعلاجيّة والاستثماريّة، وتُقدّم الحقائق هي كما هي، ويترتّب عليها الفعل المرضي الممكّن من التسامح.

. المعلومة الخاطئة في دائرة المتوقَّع، تُظهر القوَّة الهدّامة، والمؤذية، والمؤلمة، ولا تُقدّم الحقائق هي كما هي عليه، فيترتّب عليها فعل النّدم؛ ولهذا ينبغي على الإنسان:

– أن يُميِّز بين ما هو ظاهر، وما هو كامن.

– ألَّا يغفل عن الكبيرة ولا الصّغيرة في دائرة الممكن.

– ألا يستغرب الأقوال والأفعال والسلوكيَّات إذ كلّ شيء ممكن.

– أن يُدحض الحُجَّة بالحُجَّة.

– أن يحافظ على اتزانه وتوازنه أمام المعلومة الخاطئة وأمام الأفراد.

. ألَّا يستعجل بأيّة تصريحات في حالتي الفرح والألم؛ ففي حالة الفرحة قد يلتزم بأشياء وهو لا يستطيع الوفاء بها، وفي حالة الألم قد يصرّح بما لا يجب؛ ممّا يرتّب على تصريحه ألم لاحقّ.

ولهذا ينبغي أن يكون العلاج للفكر المعوج الذي تشرّبه من تشرّبه من النَّاس وأثّر في سلوكهم، فإذا تمت معالجة المعلومات والأفكار الخاطئة أو المنحرفة بمعلومات وأفكار سويّة صائبة يتغيّر أصحاب الاتجاهات السّلبية إلى الاتجاهات الموجبة، ومع أنّ أساس المعلومة الصّواب، فإنَّ النَّاس هم الذين حادوا بها عن مقاصدها ومراميها، ومن ثمّ أصبحت المعلومة المشوّهة من بعدهم هي السّبب في المظالم والمكائد بين النَّاس، ممّا يجعل المعلومات الخاطئة التي تشرّبوها هي المسبِّب في ذلك، فلو تعلّمنا فكرًا معوجًّا ونحن لم نتبيّن نقاط اعوجاجه؛ فإنّنا سنسلك سلوكًا معوجًّا، وإذا تعلمنا معلومات صائبة بقوَّة الحُجّة التي تحملها، تصبح معارفنا وسلوكياتنا صائبة؛ ولذا فمن أراد الإصلاح بين النَّاس؛ فعليه بإصلاح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة[9].

غرسُ الثِّقة يؤهِّب إلى الاستبصار:

غرس الثّقة لا يجد مكانًا له إلَّا والشكّ لا مكان له في نفس الإنسان، وإزالة الشّكّ يتطلّب حسن نوايا وصدق قول وفعل، وتفهّم ظروف وتقدير خصوصيَّة، وتبصُّر بالحجّة؛ ولهذا فالتبصّر قيمة تظهر مدى الانتباه عن وعيٍ وإدراك وتبيّن لِما هو مُبصر فيه؛ ممّا يجعل المستبصر قادرًا على أن يميّز بين الشيء الدّقيق وما هو أدقّ منه؛ فالتبصُّر إلى جانب كونه قيمة حميدة، هو

[9] عقيل حسين عقيل، العفو العام والمصالحة الوطنية، ص 162 . 176.

ضرورة إنسانية من أجل التدبّر والتذكّر والتفكّر كي يتمّ تحقيق الأهداف وبلوغ الغايات ونيل المأمول من بعدها.

والصّفة التي تستمدّ من التبصّر هي الاستبصار، ممّا يجعل صاحبها مستبصرًا في أمره وما يتعلّق به من أمر، وما يحاط به ويحوطه وبما يتأمله عقلًا وإدراكًا وما يستمدّه استقراءً واستنباطًا، {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ}10.

مضمون هذه الآيات الكريمة يتعلّق بسيّدنا يونس كما يتعلّق بغيره من الأنبياء الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام، وهذه الآيات جاءت مفاهيمها دالة على أهمية الترقُّب مع الملاحظة والانتباه تأهّبًا من قبل سيدنا يونس لقومه (وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) هذه الآية الكريمة تدلّ على تولّي يونس عن قومه بعد أن ذهب مغاضبًا، ثمّ جاء قوله تعالى (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) دالًا على أهميّة ملاحظة ونظر يونس لقومه في المرّة الثانية بعد أن آمنوا ليلاحظ الفرق بين حالتهم الأولى قبل الإيمان والحالة الثانية من بعد إيمانهم جميعًا دون استثناء، وفي كلتا الحالتين لم تكن نظرة يونس لقومه متطابقة؛ وكذلك لم تكن نظرة قومه له متطابقة، ولأنّه الحقّ قال تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}11.

وعليه: لقد كان يونس بصيرًا بحاله وحال قومه قبل إيمانهم وبعد إيمانهم؛ ولأنّه رسول مُرسل لقد كان طائعًا لأمر ربّه الذي أمره بأن يبصرهم لأجل أن يعرف ويتعرَّف على ما يؤثّر فيهم سلبيًّا ليتفاداه وما يؤثّر فيهم إيجابيًّا ليقدم عليه متأهّبًا.

---

[10] الصافات 174 . 179.

[11] الصافات 181، 182.

ولذا فالبصير هو الله الذي يُدرك الأشياء المتجاوزة لحاسة البصر، {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}12، أمّا المبصر فهو الإنسان الذي يُدرك حقيقة وجودها بالمشاهدة العينيّة، قال تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ}13، ولهذا المؤمن المستبصر في الأرض هو الذي لا يقف عند حدّ مشاهدة الإبل، بل يتعدّاها إلى معرفة الكيفيّة التي بها وعليها خلقت، حتى يبلغ مرحلة الإعجاز التي تجعله مؤمنًا بأنَّ من ورائها خالقًا عظيمًا يملك قوَّة الخلق كلّه ويؤمن إدراكًا أنّه الخالق الذي لا يُخلق جلّ جلاله.

وعليه:

ينبغي أن لا يقف تفكير الإنسان عند حدّ المشاهد، بل عليه أن يكون متهيئًا لمعرفة الكيفيّة التي عليها المشاهد، لأنّ معرفة الكيفية تمكّن من المعرفة الواعية، وتقود إلى معرفة المجرّد؛ ومن ثمّ كشف القوانين ومعرفة المستحيل مستحيلًا والمعجز معجزًا، وهذه لا يُمكن أن تبلغ إلّا إذا كان عقل الإنسان وفكره متأهبًا لمزيد من المعارف والعلوم، {وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِى العمى وَلَوْ كَانُواْ لاَ يُبْصِرُونَ}14 الضمير يعود للمخاطب وهو سيدنا محمّد عليه الصّلاة والسّلام؛ فالكفرة يعرفون حُجّة محمّد رسول الله ويجحدون الحقيقة الآتي بها؛ ولذا فهم كالأعمى الذي فقد بصره فلا يرى شيئًا.

---

[12] الأنعام 103.

[13] الغاشية، 17 ـ 22.

[14] يونس 43.

ومن ينظر إلى تاريخ الأمم السّابقة يجد التاريخ مليئًا بالعبر والمواعظ والحِكم والدروس والعواقب، قال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}15، وقال تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}16.

ولأنَّ الله قد أنعم على عباده بالبصر والبصيرة؛ فهو يراهم في أحسن صورة وتقويم وهمّ مستبصرون في آياته عزّ وجلّ؛ وهم كذلك متهيئون لمعرفة الكيفية التي عليها المخلوقات، ومتهيئون لمعرفة العلل التي تكمن خلف الأفعال والأعمال والسّلوكيّات التي ترتكب سواء أكانت انحرافًا أم صلاحًا.

وفيما يأمر بالبصر إليه والنظر فيه، كما أمر سيدنا يونس صلى الله عليه وسلَّم؛ وذلك ليكون نظر النّاظرين إلى ما يسرّ النّفس ويطمئن القلب، قال تعالى: {صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}17. ومع أنّ النّظر إلى البقرة الصّفراء الفاقع هو نظر إلى المشاهد المحسوس فإنّ نظر الكثيرين لا يرتقي إلى معرفة المجرّد، ولا يقود إلى معرفة القوانين التي يجب أن تكتشف تقدّمًا، ولا يقود إلى معرفة الأسباب الكامنة وراء المشاهد (أيّ مشاهد)؛ ولهذا وجب التأهّب فكرًا حتى تصبح الثّقة في عقولنا محفّزة على معرفة المزيد من الأسرار الكامنة والمجرّدة، ولا ينبغي أن نتوقّف عند حدّ المشاهد، بل المشاهد إن كنّا متأهبين يستفزّ فكرنا وعقولنا لما هو أعظم، ومن هنا وجب البحث تدبّرًا.

وعليه: فالإنسان المتأهّب بصرًا وبصيرة هو الذي يتمكّن من بلوغ الأشياء والتعرُّف عليها، وهو الذي يتبيَّن الأمر قبل الخوض فيه، إنّه الذي يتعلّم ويعلم ويعرف ويتعرَّف، ثمّ يَقدم ويفعل؛ فالمستبصر المتأهّب هو النّاظر

---

[15] الأنعام 11.

[16] النمل 69.

[17] البقرة 69.

إلى الأشياء بعين الحقّ؛ فلا ينكر شيئًا ولا يتعجّب من شيءٍ؛ لأنّ الله بكلّ شيء عليم وعلى كلّ شيء قدير.

ولأنَّ الإنسان المتأهّب هو المستبصر بالحقّ؛ فهو المطيع لأوامر ونواهي البصير المطلق، وهو لا يركع ولا يسجد لسواه، يصوم ويزكي ويتصدّق ويحجّ تأهبًا لنيل المأمول جنّة.

ومع ذلك فالتأهّب سلوك وفعل يمكّن من الإقدام على العمل، فعلى سبيل المثال: يتأهّب الإنسان إلى الصَّلاة بعد تهيؤ واستعداد من خلال إقامة الصَّلاة وقوفًا بين يدي الله، ممّا يجعل إقامتها فعلًا يؤدّي إلى عملٍ لا يمكن الدخول فيه إلّا بالتكبير (الله أكبر) وهنا بدأ العمل (الصّلاة عمل يُقام به) إقامةً وركوعًا وسجودًا، وهذه أفعال تتمّ بعد تأهّب.

وعليه:

. تأهّب لممارسة حقوقك؛ فالحقوق تمارس.

. تأهّب لواجباتك؛ فالواجبات تؤدّى.

. تأهّب لمسؤولياتك؛ فالمسؤوليات تُحمل.

. تأهّب لأهدافك؛ فالأهداف تنجز.

. تأهّب إلى أغراضك؛ فالأغراض تتحقّق.

. تأهّب إلى غاياتك؛ فالغايات تُبلغ.

. تأهّب لمأمولاتك؛ فالمأمولات تُنال.

. تأهّب لإشباع حاجاتك؛ فالحاجات تُشبع.

. تأهّب مسرعًا؛ فالإسراع يمكّنك من خوض المنافسة، شريطة ألا تكون متسرّعًا فالتسرّع يضيع كلّ شيء ويعيدك إلى نقطة الصّفر.

. تأهّب شجاعة، ولا تتأهّب تهورًا.

. تأهّب لكلّ شيء هو جزاء منك، ولكن لا تبالغ.

إذن: فمن هو المتأهّب إيجابًا؟

أقول:

هو الذي تيقّن أمره عن بيّنة، وعرف ما له وما عليه، وقبل بالتقدّم تجاه ما يجيب على تساؤلاته وافتراضاته، وما يشبع حاجاته أو يمكّنه من الفوز، ومن ثمّ فقد تهيأ إراديًّا وأعدّ العدّة لذلك، ثمّ استعدّ لخوض المنافسة أو المعركة، أو لنيل ما يأمل والفوز به؛ فالتأهّب قوّة كما تدفع إلى التقدّم تدفع إلى التخلّف، وكلّ حسب أهدافه وأغراضه وغاياته وما يأمل.

ولذا يجب أن يكون المتأهّب متأهّبًا في ذاته ولا ينتظر من أحدٍ أن يؤهّبه؛ فالتأهّب يرتبط بنظرة ومعتقد وخبرة ومعرفة وتعلّم المتأهّب في ذاته، أمّا التأهيب من قِبل الغير فقد يعدّه البعض لا يزيد عن كونه أداء وظيفيًّا.

ولهذا فالمتأهّب إيجابيًّا هو من نسف جسور التوقّف عند الحدّ الذي تمّ بلوغه، كما نسف جسور العودة إلى الخلف، ممّا جعل أمامه خيارًا واحدًا، التقدّم الذي من بعده تفتح الآفاق وتصبح فرص التقدّم أعظم.

غرس الثّقة يمكِّن من الاستيعاب احتواءً:

الثّقة مطلب أخلاقي وإنساني مأمول من قبل الجميع، أمَّا غرس الثّقة فيستوجب جهدًا يبذل دون إكراه، ولا يتمّ غرسها إلَّا بعد استيعاب به تُفتح آفاق التقبّل والتفهّم أمام الجميع هم كما هم عليه، وليس كما يجب أن

يكونوا عليه؛ ولهذا يعد الاستيعاب احتوائيًّا لا استثناءات فيه ولا حرمان. ومن هنا يعد الاستيعاب حيّزًا نفسيًّا يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النَّاس؛ فالاستيعاب كونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق، به يتمّ قبول الغير وتفهّم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبّل ما يختلفون به أو بما هم به يتميّزون؛ فالاختلاف والخلاف توأمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرّأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ؛ ولذلك فقيمة الاختلاف والخلاف تزداد أهمية وضرورة كلّما ظهر ظلم، أو إكراه، أو حرمان؛ ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي لو لم يكن الاختلاف والخلاف ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة ولا أهمية، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق؛ فهما لا يكونان مستقلّان عن سابق معهما؛ ولذلك فَهُمَا الرّفيقان للعاقل الذي كان متميّزًا بهما، وبالاستيعاب معًا.

فالاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائمًا الغاية من ورائهما نيل المأمول الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يُمكِّن الأخصائيين الاجتماعيين من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنهم من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفلوا عن الآتي:

. استيعاب الإيجابيات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفّزهم على العمل بها.

. استيعاب السّلبيات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة، انطلاقًا من أنّ الفروق الفرديّة بين النَّاس مكمّلة لبعضها البعض.

. استيعاب المختلف والمخالف يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

. استيعاب المختلف والمخالف ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن سويَّةً).

. استيعاب المختلف والمخالف يمكّن من توليد القوَّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبُّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول؛ ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع، وتتجذّر العداوات بين النَّاس بأسباب التدافع عن غير حقّ.

فالاستيعاب قيمة حميدة يجمع الشّمل، ويُمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو الممكِّن من الوقوف على نقاط التمركز والتشتُّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضّعف؛ ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء واعتمادها جزءً من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزءً من الحلّ، فالإلمام بالمشكلة، وظروفها المتنوِّعة، والمتغيِّرة، والمتباينة، والمتصادمة يُمكّن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول؛ إذ لا حلّ إلّا ونابع من عِلةٍ، أو سببٍ.

وعليه: فالاستيعاب هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ الذي لا يتمّ بلوغه إلّا بعد خوفٍ يُمكّن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون الاستيعاب، لو اتخذنا العرب مثالا للتطبيق؟

أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلّا أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العرب جمالًا؛ ولذا إنْ أرادت العرب حلًّا لمشاكلهم السياسيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، والنفسيّة، والذوقيّة؛ فعليهم بالاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات، سوى الجلوس سويًّا تحت مظلّة الوطن الواحد للشّعب الواحد، وطن فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسؤوليات تُحمَل، والتداول السّلمي على السُّلطة هو العنوان الذي يضمنه الدستور.

أمَّا الاشتراطات؛ فهي عبارة عن مجموعة من الموانع والعَقبات التي توضع من قِبل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى فتحول دون التّمركز على قاعدة الاعتبار (نحن سويًّا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، والعزل السياسي، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفض والتمرّد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا؛ فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السُلَّم القيمي، وهي إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما

تمَّ قبول لاشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

فالسّلطان، أيّ سلطان، إنْ أراد له ربيعًا مزهرًا فعليه بالاستيعاب الذي يجمع المواطنين تحت مظلّة الوطن ملك للجميع، ولكن إنْ أراد مشاهدة أوراقه تتساقط فعليه بالإقصاء، والتغييب، والتعذيب، والتحقير، والتسفيه، وارتكاب المظالم، ما ظهر منها وما بطن.

وفي المقابل ستظل قمّةُ السّلطان في الدّولة قمّة، إذا تمّ اختياره برغبة، ووفق عقد اجتماعي، وعن إرادة حرّة، وكان عادلًا مقتدرًا، يتقبَّل الجميع ويستوعبهم تحت مظلة الوطن الدّافئة، أمّا من يقدمُ على أفعال الإبعاد، والحرمان، للمواطنين بغير حقّ؛ فلا يستغرب إنْ واجهه بردٌ قارس يجعل أوراق سلطانه تتساقط، كما تتساقط أوراق الخريف.

ولأنّ الاستيعاب قيمة احتوائية، فهو القيمة التي تعترف بالآخر، وتتقبَّله مشاركًا وطنيًّا، يمارس حقوقه، ويؤدّي واجباته، ويحمل مسؤولياته؛ ومن ثمّ لن تُحلّ المشاكل بين النَّاس، إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم؛ أمّا الإقصاء والتغييب والعزل السياسي فلا تؤدّي إلّا للفرقة واتّساع الهوة بين المواطنين.

ولذا، لا تُحلّ المشاكل بين النَّاس إلّا بالاستيعاب، ولا يُصنع المستقبل المشترك إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدّي إلى التفاهم، ويمكّن من الاندماج والوحدة، ويحقّق الأمن والعدالة والإعمار والبناء، كما أنّه يؤدّي إلى التسامح والتصالح، ومن هنا؛ فهو منبع أمل.

والاستيعاب كونه قيمة حميدة؛ فهو المستمدّ من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[18]،

تبيّن هذه الآية أنّ الاستيعاب قيمة جمعيّة على ثلاث مراحل:

المرحلة الجمعية الأولى: جاءت المخاطبة للأمّة الوسط جميعها لا لفرد، ولا لجماعة بعينها، ولا لطائفة من طوائفها، ولكن كيف يمكن للأمّة الوسط أن تكون مجموعة (وحدة واحدة)؟

بالتأكيد الأمر ليس هيّنًا مع أنّ معطية الجمع بيّنة لا غبار عليها؛ فالأمّة الوسط بدون شكّ لا يجمعها إلّا الحقّ البيّن، والحقّ بالنّسبة للأمّة الوسط منزَّل تنزيلًا، ولأنّه الحقّ من عند الله؛ فهو الثّابت الذي لا يتغيّر؛ ولهذا ستكون الأمّة الوسط شاهدة على النَّاس يوم القيامة بالحقِّ الذي لا يتغيَّر.

المرحلة الجمعيّة الثانية: جاءت المخاطبة للنَّاس (الجمع المطلق) مصداقا لقوله تعالى: (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس)؛ فهي لم تستثن أحدا من النَّاس، أفرادًا وجماعات، وطوائفًا وشعوبًا، وقبائلًا وأقوامًا وأممًا؛ لأنّ الدّين الذي ستكون الأمّة به شاهدة على النَّاس، هو دين النَّاس كافّة، {يَا أَيُّهَا النَّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[19].

المرحلة الثالثة: إنّ الأمّة التي ستكون شهيدة على النَّاس يكون الرَّسول الكريم محمَّد عليه الصَّلاة والسّلام هو الشّهيد عليها؛ ولأنَّ الأمّة كلّ

---

[18] البقرة 143.

[19] الحجرات 13.

الأمّة هي شاهدة على النَّاس؛ فبطبيعة الحال سيكون الشّهيد على الشّاهدين على النَّاس، شهيدًا على الكافّة؛ ولأنّ الرَّسول محمَّدا عليه الصَّلاة والسّلام مُرسل للكافَّة؛ فكيف لا يكون هو الشّهيد على الكافّة؟ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاس لَا يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ}20.

وعليه: فالاستيعاب قيمة امتدادية ترسي قاعدة القبول بين الأنا والآخر وفقًا لقاعدة النسبيَّة إذ لا مطلق إلّا من عند الله تعالى؛ ولذا تترتّب قيم الأفراد والجماعات اجتماعيًّا على السّلم القيمي من المستوى الأناني إلى الانسحابي إلى الذاتي ثمّ إلى التطلعي والموضوعي.

وبناءً على هذه المستويات القيمية الخمس تمتدّ قيمة الاستيعاب أو تنكمش.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه، فإنّ استيعاب البعض للبعض هو الذي يؤدّي إلى توسيع دائرة القبول والرّفض التي تؤسّس قاعدة للتعامل بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وبما أنّ الاستيعاب قيمة احتوائية تطوي الهوة بين الأنا والآخر.

إذن:

القاعدة هي:

الاستيعاب يطوي الهوة.

والاستثناء هو:

---

[20] سبأ 28 . 30.

الإقصاء يزيد الهوة اتساعًا.

ولهذا فالاستثناء هو الاستثناء.

ولتوضيح ذلك، علينا أن نجيب على السؤال:

كيف يصبح الاستثناء هو الاستثناء؟

عندما تستثني جماعة ما عضوًا من أعضائها من المشاركة، أو يستثني مجتمع ما جماعة من جماعاته من المشاركة، فإنّ هذا الاستثناء يخالف القاعدة التي تستوجب مشاركة كلّ أعضاء الجماعة دون استثناء.

ولهذا فالمشاركة استيعابية، وهذه قاعدة.

والاستثناء لا استيعابي وهذا استثناء. أي: إذا اعتمد البعض الاستثناء قاعدة؛ فسيجدون أنفسهم يوما ما مستثنين، ولهذا يجب أن يستثنى الاستثناء ليكون الاستيعاب هو القاعدة، وهنا تكمن الحلول والمعالجات والخروج من التأزّمات.

ووفقا لقاعدة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع يمكن أن يكون الضّعف قوَّة استيعابية، ويمكن أن تكون القوَّة ضعفًا استثنائي.

على سبيل المثال: طاعة الوالدين.

هل هي ضعف أم قوَّة؟

الإجابة الموضوعية أنّها تقع في دائرة الممكن.

كيف؟

من زاوية أنّها قوَّة إيمانية (طاعة الوالدين في غير معصية الله واجبة).

ومن ناحية عقلية منطقية مجرّدة؛ فهي القبول بالخضوع، بتنازلات قد لا تكون مرضية للأنا (على عكس من رغباته أو طموحاته)؛ ولهذا قد ترغب الأنا الإقدام على فعل الشيء، وفي الوقت ذاته تواجهها قوَّة ممانعة أو رفض من الوالدين أو أحدهما.

وهكذا الحبّ هو الآخر ذو أثر قوَّة، وأثر ضعف في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع).

ولذا فالحب قوَّة موجبة، وقوَّة سالبة.

قوَّة موجبة: إذ يُمكّنك من استيعاب الآخر بلا تردّد، وغزوه أو غزوك بلا حدود.

وهنا نلاحظ شيئين متناقضين هما:

الاستيعاب الموجب: الذي فيه فُسحة للنفس وللذّوق الرّفيع ولقوَّة الحواس، إذ ينقلك من مواقع الغفلة إلى قمم الفطنة التي تمدّك بالصّحوة في كلّ حين، وتفتح أمامك آفاق تُمكّنك من نيل الاعتراف والتقدير، وتجعل مشاعرك في حالة فيض كلّما تُبادل بمثلها. وهنا يكون الحبّ قوَّة تمركز التعادل بين المحبّين؛ فكلّما تمتدّ مسافة لتملأ الآخر مودّة تقدّم نحوك بالتماثل ليملأك ودًّا، وحينها يصبح الحبّ بين (الأنا والآخر) قوَّة استيعابية تُمكّن من الإبداع والعمل المنتج والتحدّي لمواقع الضّعف والتردّد.

الاستيعاب السّالب: هو الذي يجعلك في حالة تنازلات كلّما فكَّرت في الابتعاد، أو الانفصال، إذ لن تطيق الفراغ من بعده (بعد غزوته) التي جعلتك أسيرًا بلا قوَّة.

والذي يسيطر عليك هنا ليس القوَّة كما تعتقد، بل الضّعف (القوَّة السّالبة للإرادة)؛ ولذا وفقًا لقاعدة المتوقَّع ستكون أسيرًا خائفًا متردّدًا.

أمّا بالنّسبة لغير المتوقَّع فمن الممكن أن تقبل بدفع الثّمن وتنفض الغبار من على ظهرك؛ ما يجعلك في حالة استرداد للقوَّة، وتأكد أنّك تستطيع أن تفعل إذا كانت الغزوة استعماريّة استعباديّة أو استعلائيّة. أمَّا إذا كان ودًّا متبادلًا إراديًّا فيكون الحبّ قوَّة تستوجب الاحترام والتقدير دون أن تكون هناك مغالبة.

وعليه: فالمحبّة قوَّة غازية متحديّة تداهم كلّ قوَّة، ممّا يجعل المحبّ ليس له بدّ إلّا رفع راية الاستسلام وهنا يكمن الضّعف قوَّة.

وفي كلتا الحالتين الحبّ قوَّة بضعفه وقوّته؛ ولهذا لو لم يكن الضّعف قوَّة ما كان له الأثر السّالب، ولو لم يكن الحبّ قوَّة ما كان له الأثر الموجب.

ومن هنا؛ فالاستيعاب ضرورة لا يكون إلّا بقبول تقديم شيء من التنازلات من أجل الحلّ أو بلوغ الغايات ونيل المأمول المشترك؛ ومع ذلك فإنّ التنازلات لم تكن على حساب ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمْل المسؤوليات، بل داعمة لها رغبةً وتوافقًا؛ فالاستيعاب قيمة ذات أثر على شخصيات الأفراد والجماعات والمجتمعات بدرجات غير متساوية، ونظرًا لوجود الفروق الفردية من حيث القدرات والاستعدادات والثقافات والتعليم، فانّ شيئًا من التنازل يجعل من قيمة الاستيعاب ضرورة ذات أهمية تستوجب الاحترام والاعتبار والتقدير كما تستوجب التفهّم الذي يجعل لكلّ خصوصيّة أهمية على السُلَّم القيمي وفقًا لخماسي عقيل لتحليل القيم الذي يأخذ المستويات الآتية:

أوّلا ـ المستوى القيمي الموضوعي ويتمركز على:

. تقبّل الآخر كما هو بغضّ النّظر عن لونه أو جنسه أو دينه أو انتمائه أو خصوصيّته الاجتماعية، مع تقديره واحترام آرائه بما يُمكّن الأفراد من التواصل والتفاعل الاجتماعي والإنساني.

. التفهُّم المتبادل بين الأنا والآخر يعد أساسًا لبناء مجتمع الفكرة الذي يؤسّس على تبادل القيم الفاضلة.

. التعامل بكل شفافية مع الآخر بما يحقّق الاستيعاب والتفاعل والتماسك والترابط بين ذوي الخصوصيّات.

. الوعي بالحقوق والواجبات والمسؤوليات.

. تقدير الآخر والاعتراف به.

. إبداء الاستعداد لغرس الثّقة في الغير.

. التملك وفقًا للحاجة، والعمل وفقًا للتخصص والخبرة، والإنتاج وفقًا للمواصفات والمعايير النوعيَّة.

. المساواة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته.

. التجرّد من الانحياز غير العادل.

. إدراك الحقائق كما هي لا كما يجب أن تكون عليه من وجهة النظر الخاصّة.

. الأخذ بالمصادر الطبيعية كالعرف والدّين في تقييم وتقويم السّلوك والفعل.

ثانيا . المستوى التطلعي ويتمركز على:

. الانفتاح على الآخر من أجل ما يفيد مع عدم التفريط في الذّات التي ينتمي إليها الأفراد أو الجماعات.

. إدراك ما يجري ومحاولة تكوين علائق على أكثر من مستوى موجب.

. التهيؤ للتغيير النافع.

. الاعتماد على المنطق في المحاجّة.

. المقدرة على الاستنباط المجرّد للحقائق.

. الطموح بما لا يطمس الهويّة.

. الاعتدال والاتزان الانفعالي مع القيم الذاتيّة والقيم المتطلّع إليها.

ثالثا . المستوى الذّاتي ويتمركز على:

. حبّ الذّات الاجتماعية.

. التعصُّب إلى مقومات الخصوصية حتى ولو كانت على غير صواب.

. التمسّك بالموروث حتى وإن كان في حالة عدم اتزان مع واقع العصر.

. التباهي بالذّات الاجتماعية حتى وإن لم تكن مواكبة لحركة التغيّر المفضّل.

رابعا . المستوى الانسحابي ويتمركز على:

. الانسحاب من القيام بالأفعال الموجبة أو المشاركة فيها.

. الميل إلى الأنانية.

. عدم تحمّل المسؤولية.

. عدم الإسهام في بناء الشخصيّة الوطنيّة.

. التمسّك بمطالبة الحقوق والانسحاب من أداء الواجبات.

. لا تُعد السّلبية من الأعمال المعيبة.

. التمثيل لا يعد عيبًا وبالتّالي من يستطيع أن يقوم بالواجبات نيابة عن المنسحب فليقم بها.

خامسا . المستوى الأناني ويتمركز على:

. الأخذ بالأنانية وعدم تقبّل الآخر.

. تغليب مصلحة الأنا على مصلحة الذّات.

. تجاوز الحدود على حساب الآخرين.

. المعيار: (أنا كلّ شيء).

. المقياس: (الأخذ بدون عطاء).

وعليه:

. لا تكن أنانيا فالأنانية نقيصة.

. لا تكن انسحابيًّا من اتخاذ المواقف الموجبة؛ فالانسحاب معيبة لا تليق بمن خلق في أحسن تقويم.

. احترم ذاتك يحترمك مجتمعك ويُقدّرك الآخرون.

. تطلّع إلى ما هو أفضل وأجود تحدث لك النُّقْلَة وتصنع لك مستقبلا.

.كن موضوعيًّا تنل الاحترام والتقدير وتكسب الهيبة.

وبناء على ذلك يكون دور الأخصائيين المهنيين العمل وفقًا لما يُمكّن من تصحيح الأخطاء وتجاوزها لما يحدث النُّقْلَة باتباع الآتي.

1 . تحدد المستوى القيمي الذي عليه حالات الأفراد والجماعات.

2 . البدء مع الحالات من حيث هي، ومع الأفراد من حيث هم.

3 . العمل على نقلهم إلى ما يجب أو تحفيزهم ودفعهم إليه.

ومن ثمَّ؛ يعد الاستيعاب فُسحة امتداد المسموح به إلى النهاية؛ ولهذا إعطاء الفُسحة قاعدة، وعدم إعطائها استثناء، والفُسحة فرصة يجب أن تُغتنم بموضوعية

وعليه:

- أعط الفرصة.
- أعط الفُسحة.
- اسمح بالاغتنام.
- قيّم مجهود من أعطيت له الفرصة.
- قارن المجهود بالعائد من ورائه.
- قيّم حتى تكتشف نقاط القوّة والضّعف.
- قوّم وصحّح الانحراف.

وبناء على هذه المبادئ والقيم المتضمنة في النّظرية الاجتماعية (الإنسان اجتماعي بطبعه) فانّ تقدير الحالة وظروفها الاجتماعيّة

والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة هو الممكن من تأكيد وتحقيق قيمة الاستيعاب.

وعليه:

. تفهَّم ظروف الآخر.

. تفهَّم واقع الحالة كما هي.

. تفهَّم الصّعوبات التي تواجه العملاء.

. قدَّر حالاتهم وظروفهم.

. لا تصدر عليهم أحكامًا مسبقة.

. أعط الفرص وافترض خيرًا.

. اعرف أنّ كلّ شيء ممكن.

ولأنّه لا استيعاب بدون رغبة؛ إذن: عليك بتهيئة العملاء للاستيعاب إذا أردت العمل معهم من حيث هم إلى حيث ما يجب، لأجل إحداث النُّقْلَة التي لها يُصنع المستقبل، ثمّ:

- تقدّم برغبة.

- اعمل بوعي.

- انطلق بقوَّة الإرادة.

- استوعب عن عمد.

- حلّل بمنطق.

- شخّص على واقع.

– قوِّم بموضوعية.

. قرّر عن معرفة ودراية حيث لا وجود لما يعيق، واعتبر تُعتبر، وقدّر تقدَّر، واسمح بالامتداد يسمح لك بالامتداد، وتطلّع للغير يتطلّع إليك رغبة، وفي المقابل إذا استثنيت تستثنى، وإذا غيبت تُغيّب.

وبما أنَّ غرس الثّقة حاجة ماسّة للفرد والجماعة والمجتمع، ولا يتمّ غرسها إلّا بالاستيعاب؛ فلماذا لا يسعى الجميع إلى الاستيعاب من أجل غرس الثّقة وإحداث النُّقلة وبلوغ المأمول ونيله[21]؟

غرس الثّقة يمكّن من التهيؤ:

الثّقة قيمة محفّزة على أخذ القول الحقّ والاستعداد لما يجب، ولكن الثّقة لا تأتي عفويّة، بل تتطلّب المعطيات المهيأة لها قولًا وعملًا وسلوكًا، وهي لا تغرس في أيِّ تربة، بل لها تربّة خاصّة بها، وهي المتكوِّنة من قيمة التقبُّل والتفهُّم والاستيعاب والتقدير والاعتبار والاحترام الممكن من الوعي بما يجب وما لا يجب؛ لأنَّ الوعي قيمة ترشد إلى حصول المعرفة بعد غفلة عن أمرها، وهي تنبُّه من كان غافلًا إلى ما كان غافلًا عنه؛ فيؤدّي هذا التنبُّه إلى حُسن التصرّف وتوازن الشخصيّة، ممّا يجعل الوعي المعرفي مُمكّن لأصحابه من حُسن الاختيار والتصرّف، ومن رسم السياسات وتطلّع آفاق المستقبل، وإحداث النُّقْلَة؛ وهكذا فالنَّاس عندما يوعون يتهيأون لحمل المسؤولية.

إذن: الوعي يهيّئ الإنسان لِما يجب مع انتظار لمواعيد وجوبه بهدف أدائه على ما يجب أن يكون عليه، فالتهيّؤ وعي لا يكون إلّا من أجل المستقبل، وعندما يأتي المستقبل يكون الفعل محقّقًا له بالإرادة.

[21] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 282 – 298.

ولذا كان تهيّؤ سيدنا إبراهيم عليه الصّلاة والسّلام لحمْل المسؤولية تهيؤ الواعين المدركين للحقائق والأشياء والكيفيات التي هي عليها {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}22.

ترشد هذه الآيات الكريمة ممّا ترشد إليه إلى أنَّ إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام كان موقنا بقدرة الله تعالى لعلمه أنَّ الذي يخلق ويُميت قادر على أن يحي الموتى، وهذه القناعة إنّما هي تهيّؤ إبراهيم للوقوف على الحدث لوعيه وعلمه بأنّ الله قادر على إحياء الموتى، ولكنّه طلب أن يُريه الله كيف يحيي الموتى؛ وذلك لأجل الاطمئنان؛ فسأل إبراهيم ربّه أن يريه كيف يحيي الموتى لغاية أن يصير علمه وعيًا عيانًا، وقد شرَّفه الله بعين اليقين وبحقّ اليقين الذي هو أعلى المقامات، وعين اليقين هو المعاينة لا مريّة فيه"23، فالتهيّؤ للفعل الخارق للعادة موجود وقائم في نفس إبراهيم صلى الله عليه وسلَّم، ولولا هذا التهيّؤ لما طلب من الله تعالى مشاهدة عمليّة إحياء الموتى.

ولذلك كان إبراهيم متهيّئًا للرّسالة فحملها، وتحمّل كل المترتّبات على حمْلها.

وعليه: فالله سبحانه وتعالى قد هيّأ كلّ شيء في هذا الكون وفق مشيئته بما أراده سبحانه وتعالى؛ فالمهيّئ المطلق هو الذي يتّصف بكمال الفعل ومطلق الصِّفة، وعلى هذا يكون التهيّؤ المطلق على نوعين:

1- تهيّؤ كلّي يخضع له كلّ ما في الكون بما هيّأه الله تعالى، وآيات تهيئة الكون أكثر من أن تحصى؛ ففي قوله تعالى: {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً

---

[22] البقرة 260.

[23] تفسير حقي 2/ 92.

فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}24، فالناظر إلى الأرض قبل نزول الغيث رحمة يراها هامدة ميّتة، ولكن كونها مهيّأة لإنبات الزّرع والأشجار ودبيب الحياة فيها؛ فعندما تسقى الماء تنبت من كلِّ زوج بهيج، وفي قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}25؛ فالشّمس مجعولة على التهيّؤ لأن تكون ضياءً، والقمر مهيّأ لأن يكون نورًا، بدليل أنّ الذين نزلوا على القمر لم يقولوا: إنّ للأرض نورًا ينعكس على القمر مثلما ينعكس نور القمر على الأرض، علمًا أنَّ ضياء الشّمس يسطع عليهما جميعًا؛ ذلك أنَّ الأرض مهيأة للحياة، وأنَّ القمر مهيأ لأن يكون نورًا في هذه الحياة.

وهكذا كان التهيّؤ الكلّي لجنس الإنسان في انتشار البشر من نفس واحدة الذي يكمن في تهيّئة آدم صلى الله عليه وسلَّم وخلق زوجه معه ثمّ خلق البشر منهما، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاس اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}26؛ فمع أنَّ النَّاس كلّهم من نفس واحدة، فإنّ أشكالهم وألوانهم وألسنتهم اختلفت وفقًا لِما هم متهيّؤون عليه، وهذا يدخل ضمن التهيّؤ الكلي للنفس الأولى التي خلقوا منها.

2- تهيّؤ جزئي على مستوى أفراد الأشياء من إنسان وحيوان ونبات وجماد، وكلّ واحد من هذه الموجودات لها تهيؤها المناسب لخلقها وطباعها

---

[24] الحج 5.

[25] يونس 5.

[26] النساء 1.

وما جبلت عليه؛ فالإنسان بخلقه وطبعه وعقله مهيّأ لأشياء كثيرة من أجل إعمار الأرض وفلاحها وإصلاحها بالأفعال الحِسان التي إن فعلها كان من الوارثين في الدارين، قال تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}27، فكلّ ذلك هو تهيّؤ لما بعده، ومن عجائب التهيّؤ في العين أنّها مهيّأة لترى في دائرة الممكن جميع الأشياء كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها، بحجمها الطبيعي وبُعدها الحقيقي، إضافة إلى ذلك فإنَّ حدقة العين مهيأة للتقلّص والتمدّد؛ ففي حال اشتداد الضياء تتقلّص الحدقة بحيث تأخذ من الضياء ما يكفيها للرؤيا والإبصار، ولا تسمح بدخول ضوء أكثر من حاجة العين؛ فهذا التناسب العكسي بين العين من جهة والضياء والظّلام من جهة ثانية، إنّما يدلُّ على تهيّئة المهيأ عزَّ وجلَّ للخلق من أجل شؤونهم.

إنَّ خلق الإنسان من سلالة من طين دليل تهيّؤ؛ ذلك أنَّ الأرض ينبت فيها الطيّب والخبيث، ومنها السّهل اللّين ومنها الوعر القاسي، ومنها الشّديد الصّلب، ومنها الرّخو الطيّع، وهو تهيّئة لما سيكون عليه الإنسان، منهم الغليظ الفجّ ومنهم دمث الأخلاق، والمؤمن والكافر والطّائع والعاصي، والعاق والمرضي هذا بداية، ثمّ بعد ذلك جعل الله تعالى الإنسان في ذرية آدم عليه الصَّلاة والسَّلام وهيأه على شكل نطفة، وهيّأ لهذه النطفة قرارًا تستقر فيه محفوظة من الرّيح والفساد وفق جوّ يلائمها ودرجة حرارة تناسبها، وفي هذه التهيئة، تهيّؤ لمرحلة قادمة، ينتقل من بعده إلى علقة من دمٍ، وتدخل في تهيّؤ جديد إلى مرحلة المضغة، ثمّ تدخل المضغة مرحلة تهيّؤ أخرى حتى يتسنّى لها أن تصبح عظامًا، ثمَّ يكسوها لحمًا، وفي هذه المرحلة يكون هذا الخلق مهيّأ للتكوين الإنساني، وهنا يدخل مرحلة تهيّؤ مادّي عضوي لتقبُّل

---

[27] البلد 8. 10.

الحياة الجديدة المقبل عليها، من أخذ شكل الإنسان في تكوين الأطراف الخارجية والأجهزة الداخلية التي تهيّؤه للحياة؛ فيتكوّن الجهاز الهضمي والجهاز العصبي والجهاز التنفسي والدّورة الدموية؛ فكلّ هذه الأجهزة والأدوات والأعضاء، إنّما هي في طور التهيّئة، ولا يتمّ استعمالها إلّا عندما ينتقل من عالمه الداخلي إلى العالم الخارجي.

فالله سبحانه وتعالى عندما أراد بمشيئته أن يكون الإنسان خليفة في الأرض، هيّأه وهيّأ له الأسباب التي يكون بها خليفة بحقّ فيما أراده الله تعالى له، وأوّل هذا التهيّؤ في خلقه وتكوينه ما ترشد إليه الآية في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ}28 فقد سوّاه وجعل الأعضاء سليمة سويّة معدّة لمنافعها وعدلها بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت، وصرفها على هذه الخلقة الملائمة لهذا الشّكل وهيّأها لما أعدت له، ثمَّ ركَّبها بالصّورة التي شاءها بحيث تصلح للعبادة والخلافة في الأرض من أجل إعمارها.

فالتسوية تهيّؤ بحيث جعل أعضاء الإنسان سويّة سليمة معدّة لمنافعها، ليترتّب على كلِّ عضو تهيّئته للمنفعة التي خُلق ذلك العضو لأجلها، كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلّم للِّسان والإبصار للبصر، والسّمع للأذن واللّسان للّفظ والذّوق، إلى غير ذلك من تهيئة بقيّة الأعضاء، وتعدل بعض تلك الأعضاء بالبعض الآخر بحيث اعتدلت ولم تتفاوت.

غرس الثّقة يهيئ للتطلُّع:

التهيؤ قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُّقْلَة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى

---

[28] الانفطار 8.6.

قيمي أعلى؛ وإذا لم يتهيأ الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع لما هو مأمول ويسعى إليه عملًا يبلغه غايةً، وهنا يعد التهيؤ التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الأخر الذي له من الخصوصيات ما يميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذّات في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقّق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيّة تُعد منطقة وسط بين الذاتية والموضوعية، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذاتية) والمتميّز عن (الموضوعية)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذاتية ومقومات الموضوعية، ممّا جعله قاطعًا مستقلًا بذاته في خماسي تحليل القيم29.

وعندما تقتصر رؤى الشّخصية على مكّوِّنات الذّات القيميّة توصف بالذّاتية، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، توصف الشخصية في هذه الحالة بأنّها منطقيّة أو تطلّعيَّة، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقَّع أو مفترض.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشخصية المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن تتهيأ إليه تطلعًا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقَّعة؛ لأنَّ المتوقَّع المتطلّع إليه تهيّأ بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي، ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشخصية أو فعلتْ أو حكمتْ وفقًا لافتراضاتها؛ فقد تفعل أو تسلك خطأ، ومن ثمّ فعليها أن

[29] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ ولهذا فعلى سبيل المثال: القضية التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة

عبد الله وقف بعرفات

إذن: عبد الله كُتبت له حجّة

هذه قضية منطقية لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها، ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة؛ وكذلك إذا كان عبد الله موظّفًا أو طبيبًا أو حارسًا أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط؛ فلا تكتب له حجّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرًا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، في هذه الحالة يصبح الوقوف بعرفات حقيقة للقيام بركن من أركان الدّين الإسلامي، ومن ثمّ ينطبق المنطق على الواقع الموضوعي.

وعليه: فالإنسان المتطلّع للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي إنّه في حالة النُّقْلَة من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائمًا على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانية الأخرى، وفي ذات الوقت لا يُفرّط في خصوصيّته الذّاتية التي جعلت له تاريخًا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيميَّة.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذّوقية بالخوف تتهذّب تدبرًا وتطلّعًا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم.

إذن: التطلّعيّة شخصية توافقيّة، تستوعب قيم وفضائل (الذاتية) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤولية على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، وعندما تتهيأ الشّخصية لتجسيد هذا المفهوم التطلُّعي توصف بأنّها متطلّعة ومستواها الفكري هو على المنطقيّة.

ولذا، فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنفس وتتهيأ منطقًا بأن يكون التفكير فيما يجب؛ ممّا يجعل النفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التهيؤ والتطلُّع للأفضل الذي يحافظ على الهويّة والخصوصيّة، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه؛ وهذا لا يعني أنَّ كلّ تهيؤ وميل هو موجب، فعندما تتهيأ الشّخصية وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوّناتها القيمية تصبح الشّخصية على حالة من الانسحابيَّة؛ فتوصف في هذه الحالة بالشخصيّة الانسحابيَّة التي تتخلَّى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه: فالتطلُّعية مرحلة من الوعي تُمكّن الذَّات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يطمئن.

ولأنَّ التطلّعية هي حالة تهيؤ ووعي بالمحيط المعرفي والثقافي والحضاري، فهي تُعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشخصيّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذاتية) هي ما يدور من حوار بين الرَّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليات في حدود الدّين والعرف والقيم السَّائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلّعيّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، حقوقًا وواجبات ومسؤوليات ينبغي أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة؛ ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها، كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيمية للشخصية المتهيئة أقول:

1 ـ الأنانيّة: معيارها الشخصانيّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الانسحابيّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذاتيّة: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعية: معيارها العقل (نحن سويَّةً).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتهيأ للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعية التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعي ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعية، وتُعد معاييره إنسانية؛ ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتهيأ الشخصية وتميل إلى الموضوعية فتوصف بالتطلّعيّة، وعندما تتهيأ وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشّخصية في حالة ميلان إلى الأنانية.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليات، إلّا أنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، إذ نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل، ولذا فالشخصيّة المؤثرة، هي الشخصية المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابًا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}30.

وهنا فالشخصية المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظّرف الآني، بل تمتدّ منه إلى ما هو مستقبلي، فتتهيأ للمغالبة وتميل إليها[31].

غرس الثّقة تفعيل لمبدأ المشاركة:

الثقة لا تتحقّق هكذا كلامًا وتنظيرًا، بل لا تكون فعَّالة إلّا مشاركة؛ ولهذا فالمشاركة في ذاتها قيمة ذات مفهوم استيعابي في دائرة الممكن، وفي مفهومها هذا تعد منقوصة الحيويّة؛ ولهذا فهي في حاجة للتّفعيل؛ لكي تصبح مبدءًا عمليًّا قابلًا للممارسة، أي: إذا لم تُفعّل لن تكون لها قيمة إلّا نظريًا، بمعنى: لا تزيد عن كونها مفهومًا ليس إلّا.

ومن ثمّ فالمشاركة باب مفتوح على من له الحقّ وفقا لقوانينها المنظمة، أي: وفقًا لرؤى المشاركين أو المنظّرين لها من أصحاب الفكر والفلسفة والمنطق. أمّا تفعيلها يعني: إدخالها ميادين العمل والتجربة وفي أيّ مجال (سلطة أو ثروة، أو ملكيّة، أو علاقات اجتماعيّة)؛ ولهذا فتفعيل المشاركة

---

[30]. سورة الحشر، الآية 9.

[31] التهيؤ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 177 – 183.

يمكّن من الممارسة الفعلية للسيادة وأساليب الأخذ بها سواء أكانت المشاركة في اتخاذ القرار أم تنفيذه أم متابعته، ويحفّز المشاركين (الأنا والآخر) على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده .كما أنّه يُحرّض على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام ويرسّخ المكانة، وبخاصّة عندما تكون المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدم المشتركون عليه من عمل بنجاح، وهذا الأمر يتطلّب استثارة القوّة الذّاتية للمشاركين بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها؛ لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم .

المشاركة حقّ لِمن يتعلّق الأمر بهم:

وبما أنّ المشاركة حقّ لمن يتعلّق الأمر به مسلمة منطقية؛ إذن منطقيا حقّ المشاركة مبدأ لا ينبغي إغفاله؛ ولأنّ أساس الوجود الاثنان (الذّكر والأنثى) مصداقا لقوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}32، إذن: المشاركة أساس الوجود، ولأنّ الوجود متنوّع؛ فالتنوّع لا يكون إلّا مشاركة، ولذا وجب تفعيل المشاركة بما يناسب الحاجات المشتركة والمتطوّرة عبر التاريخ.

ولأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه؛ إذن فالمشاركة حقّ، ولأنّها حقّ، فلا ينبغي التنازل عنها أو الحرمان منها.

وعليه:

. لا تتنازل عن حقّك، وشارك الآخرين الذين لهم علاقة بأمرك.

. طالب بحقّك، واعمل على إعادته إذا أُخذ منك عنوة.

---

[32] الذاريات 49.

. اقبل أو ارفض من أجله.

. تفاعل من أجل حقّك.

. نافس من أجله.

. تعلّم فالتعليم حقّ.

. اعمل فالعمل حقّ.

. انسحب إذا عرفت أنّ ما أقدمت على المشاركة فيه ليس من حقّك، أو أنّه سيؤدّي بك إلى الخسارة أو الهلاك.

. تطلّع فالتطلّع حقّ.

ولأنّ المشاركة تؤدّي إلى القوّة (الموحّدة)، والانفراد يؤدّي إلى الضعف أو القوّة (المنفردة)، إذن: فتفعيل المشاركة ضرورة.

ولذا؛ شارك الآخرين إذا أردت أن تزداد قوّة؛ أمّا إذا رغبت الضّعف، فلن تجد لك مكانًا إلّا منفردًا.

وإذا تساءل البعض:

ما معنى أنَّ الشركاء أولى بتقرير مصيرهم؟

أقول:

. ألّا ينوب عنهم أحد وهم قادرون على ممارسة ما يتعلّق بهم من أمر.

. أنّهم يمتلكون زمام أمرهم وهم أدرى به من غيرهم.

. أنّهم وحدهم أولى بتحمّل مسؤوليَّاتهم وما يترتّب عليها من أعباء جسام.

ولأنَّ تفعيل المشاركة ضرورة، إذن: فالأخذ به واجب.

ولأنّ الإنسان قوّة في خَلقه، ويراد له أن يكون قوّة، إذن: ليس له بدّ إلّا تفعيل المشاركة فيما من شأنه أن يسهم في إحداث النُّقلة الحضارية والثقافية علمًا وعمرانًا وأدبًا وفنًا.

ومن هنا؛ فالمشاركة مساهمة أو تحاصص في الانتماء أو الملكية أو الدّور أو الموقف الذي يتطلّب اتخاذًا عن إرادة، ويترتّب على المشاركة حقوق ينبغي لها أن تمارس، وواجبات ينبغي أن تؤدّى، ومسؤوليات ينبغي أن يتمّ حمْلها وتحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء.

والمساهم هو من يشترك فيما يُسَاهَم فيه، ليكون قابلًا لكلّ مترتّب على إسهامه سواء أكان المترتّب ربحًا أم خسارةً؛ ولهذا المساهم وإن توقَّع أو استهدف وأمل ربحًا في أثناء مساهمته في الشيء القابل للمساهمة فيه إلّا أنَّه في دائرة الممكن لا ينبغي أنْ يُغيِّب عن عقله احتمالية التّعرّض للمتوقّع ربحًا ولغير المتوقّع خسارًة.

وعليه: فالقبول بالمشاركة يستوجب القبول بالأمرين (الرّبح والخسارة) حتَّى وإن كان أحدهما لا يؤمل في دائرة الممكن المتوقّع ؛ ولهذا في مُعظم الأحيان تظهر الخسارة من دائرة الممكن غير المتوقّع، ممّا يجعل المحلّلين والمشخِّصين والمفسِّرين للأحوال والقضايا والمشاكل والمواضيع والمواقف غير مستغربين؛ وذلك لمعرفتهم أنَّ كلّ شيء في دائرة النسبيّة ممكن، وخير مثال على ذلك: قصّة النبي يونس عليه الصّلاة والسّلام الذي لم يكن مستغربًا في مساهمته، ممّا جعله يقبل المساهمة دون تردّد وهو راضٍ بما سينتج أو يترتّب على مساهمته، قال تعالى: {فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}[33]، أي: كما

[33] الصافات 141.

قَبِلَ يونس بالمساهمة من قَبل كذلك كان قابلًا أن يكون من المدحضين، فدُحِضَ إلى مياه البحر وأعماقه لولا أن التقمه الحوت قبل أن يسقط في أعماق البحار مع المدحوضين المغرقين، قال تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}34.

ولأنَّ يونس عليه السّلام كان قابلًا وراضيًا بما وصلت إليه نتيجة المساهمة التي كان فيها من المساهمين فلا داع لأن يُسقط من قِبل الآخرين، بل عليه أن يقفز بنفسه من الفلك المشحون إلى المياه المتلاطمة الثائرة بالأمواج؛ ولهذا عندما همَّ يونس ليقفز كان الحوت على السّرعة المتزامنة للقمه قبل أن يقع في المياه في أعماق البحر.

إذن: المساهمة لا تكون إلّا عن إرادة حرّة ممّا يجعل المترتّب عليها لا يُرفض من قبل المساهمين أي: كلّ المترتّب على المساهمة يستوجب القبول مع كلّ الرّضا.

والمساهمة قد تكون بالنّفس والمال، وقد تكون بأحدهما وقد تكون بما يُمتلك عينيًّا، وفي كلّ الحالات هناك مترتّب منتظر في دائرة الممكن الموجب والسّالب؛ فإن تحقّق الموجب كان الرّضا متحقِّقًا، وإن تحقّق السَّالب كان النّدم واللوم على النّفس التي قبلت بالمساهمة؛ ومع ذلك لابدّ أن يكون القبول هو السّائد بين المساهمين، وعليهم بالعمل الذي من شأنه أن يُصلح ما أفسدته المساهمة إن استطاعوا، وإن لم يستطيعوا فما عليهم إلّا القبول والامتثال للأمر الواقع.

والمساهِم إن ساهم مع الآخرين فيما يشاؤون ويشاء، يكون له نصيب معهم بمقدار المساهمة، وهذا النصيب يجعل له حقوقًا معهم، وله

---

34 الصافات 142 . 144.

واجبات يجب ألّا يتأخّر عن تأديتها كلّما طُلبت منه؛ ولذلك يترتّب على المساهمة أمران:

. حقّ يؤخذ، ويطالب به.

. واجب يؤدّى، ويلتزم به أو يَلزَمُ عليه.

وهناك من يرى أنَّ المساهمة هي اقتراع فمن قَبِل بها قَبِل بإجراء القرعة أو المقارعة، ومع أنَّ الفرق كبير بين المفاهيم الثلاثة إلّا أنّها ذات علاقة من حيث المعنى الذي يؤكّد على ما تدلُّ عليه الكلمة، وهذا في كثير من الأحيان يتطابق مع المفهوم الذي هو وراء كلّ منها، ممّا جعل لكلّ مفهوم دلالة وخصوصيّة؛ ولذلك من حيث المفهوم نقول:

المساهمة: أنْ يشترك المشترك بجهده أو ماله أو جزء منه أو جزء ممّا يمتلك؛ لتكون له حصّة مع المتحاصّين بالمساهمة المتّفق عليها مسبقًا؛ ولهذا فالمساهمة لا تكون إلّا على الاستطاعة وحسب الرّغبة وبكلّ إرادة دون إي إجبار، وتكون نتيجة المساهمة مؤدّية إلى التسليم وقبول الأمر الواقع؛ وبذلك تكون المساهمة مادّية (النّفس المال الملك) وفي هذا الأمر يكون حالها كحال الجهاد في سبيل الله بما تستطيع أن تجاهد ساهم جهادًا تنل خيرًا كثيرًا، وحالها كحال مساهمة يونس عليه السّلام، (فوزًا أو غرقًا)، ولكن حسابات علَّام الغيوب تختلف؛ فيونس الذي قَبِلَ أن يكون من المدحضين في البحر، وكان حقيقة ماثلة أمام أبصار المشحونين في الفُلك أنَّ يونس مُلتقم في فم الحوت وظنوا أنَّه قد لبث في بطنه إلى يوم يبعثون، ولكن علَّام الغيوب أنقذه من الغرق بما سخَّر له من حوت لينقذه ويلقيه إلى الشاطئ آية كبرى من آيات الله العظيمة.

ولهذا فالمقارعة في المفهوم الدّلالي للمقارعة ما يشير إلى وجود تحدٍّ بين المشتركين في المقارعة، ممّا يجعل للحُجَّة أهميّة في الإثبات أو الدّحض والنفي؛ ولذا يكون في مفهوم المقارعة ما يؤدّي إلى المغالبة، ولا يكون الحظّ بها مرتبطًا، ونتيجتها لا تؤدّي إلى التسليم بقدر ما تؤدّي إلى المواجهة، وقد تكون المقارعة كلاميّة (حُجَّة بحجَّة) وقد تكون (قوّة بقوّة) مع تعدّد الأساليب والوسائل الممكّنة من المغالبة.

فالقرعة القبول بالمشاركة دون أن تكون هناك ضرورة لِما يُمكن أن يُدفع مُسبقًا أو يمكن أن يساهم به، كما هو حال الذين أجروا القرعة على من يكفل مريم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}[35]، وكذلك كأن تُجرى القرعة بين البعض لأجل فرز من تُعطى له الفرصة لقضاء فريضة الحجّ، وهذه القرعة لا تستوجب جهدًا يُبذل في سبيلها، بل تتطلّب أن يتقدّم المتقدِّم كغيره من المتقدِّمين رغبة منهم لأداء فريضة الحجّ. وفي مُعظم الأحيان يرتبط الحظّ مع الذين تكون القرعة من صالحهم أو أنّهم فازوا بها فوزًا محظوظًا، ومع ذلك وإن ارتبط الحظّ مع القرعة فإنَّه لا يقتصر عليها؛ فكثير من الأعمال تكون نتائجها للصّابرين ولأصحاب الحظّ العظيم مصداقًا لقوله تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}[36] ونتيجة لأنَّ الأعمال بالنيّات فإنّ الفوز بما هو عظيم لا يتحقّق إلّا مع الذين لهم صفاء النيّة وطاعة النّفس مخافة من الله لا مخافة من غيره، ولهذا بشَّر الله الصَّابرين أصحاب النوايا الخيِّرة والأعمال الصادقة بأنَّ لهم من ربِّهم رحمة، قال تعالى:

---

[35] آل عمران 44.

[36] فصلت 35.

{وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}37.

ومع أنَّ للمشاركة والمساهمة تداعيات الوقوع في الخسارة مثل تداعيات الفوز والكسب وكلّ ما من شأنه أن يحقّق أرباحًا للمساهمين، فإنّ البعض إنْ تعرض إلى الخسارة أصبحت وجوههم عبوسة، وكأنّهم لم يعرفوا حسابات المساهمة (ربح وخسارة).

ولذا؛ فإنَّ تفعيل المشاركة مبدأ قيمي يحفّز على التعاون والتفاعل؛ والمشاركة قد تكون مشاركة خاصّة غير مورّثة، وقد تكون مشاركة ميراث، قال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أو كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا}38.

وهنا فالمشاركة في الميراث قد تكون على التساوي وقد لا تكون إذ لكلّ نصيب في الميراث المتروك بوصيّة أو بدونها، ولكلٍّ تفصيلاته، ولكن ما يهمّنا هنا أن نعرف أنَّ الحياة مؤسّسة على قاعدة المشاركة التي أساسها الخلق الزوجي؛ فالزوجيّة قاعدة التكاثر النوعي لجميع المخلوقات {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا}39، وقوله تعالى: {وَمِنْ كلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}40، فقوله (وَمِنْ كلّ شَيْءٍ) نزلت مطلقة إذ لا شيء خُلق إلّا والزوجية أساسه، ولأنّ كلّ شيء مؤسّس على الزوجية، إذن :كلّ شيء يشارك نوعه في الحياة تكاثرًا وعنايةً ورعايةً، ولكلّ نوع خواصّه التي بها يتكاثر ويشترك في الصّفات والأعمال والسّلوكيات.

---

[37] البقرة 155 . 157.

[38] النساء 7.

[39] النبأ 8.

[40] الذاريات 49.

ولأنّ الزوجيّة هي قاعدة تأسيس المشاركة بين الأنواع في الفطرة والمشاعر والعواطف والمودّة؛ فكانت المودّة على المستوى البشري قوّة ترابط ومشاركة بين بني الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}41. ولأنَّ المودّة جاءت بينيّة (بين النَّاس)؛ فهي قيمة تشارك ورابطة أواصر بين الآباء والأبناء والأقارب وغيرهم ممن يقع في دائرة المعرفة المشتركة مودّة ورحمة؛ ولذا فالأرض هي فراش للجميع، ومُلك للجميع؛ فلا يحقّ لأحدٍ احتكارها أو العبث فيها وإفسادها، قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}42؛ فقوله (رِزْقًا لَكُمْ) أي: رزقًا مشتركًا للجميع؛ فمن عمل منكم صالحًا يجني ثماره خيرًا وافرًا، ومن عمل منكم منكرًا يجني ثماره ألما موجعًا.

ولأنَّ الحياة مؤسّسة على المشاركة كانت المشاركة بين النَّاس سُنّة (سلمًا وحربًا)؛ ولهذا فالجهاد مشاركة بالنفس والمال والتخطيط والتدبّر وإعداد العدّة، قال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}43. وقال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوّة وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}44.

وعليه: فالمشاركة وفقًا للاستطاعة قيمة حميدة بين النَّاس في سِلمهم وحربهم؛ فينبغي أن تُفعّل، وبخاصّة أنّ أمر المشاورة بين النَّاس جاء مشاركةً

---

41 الروم 21.

42 البقرة 22.

43 التوبة 88.

44 الأنفال 60.

قال تعالى: {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}45. أي: شاركهم يا رسول الله في الأمر الذي يتعلّق بهم؛ لأنَّه حقّ لهم، فإن شاورتهم تمكّنوا من اتخاذ القرارات الصّائبة والصادقة، وإن لم تتمّ مشاركتهم؛ فلن تعرف حقيقة مواقفهم من الأمر الذي ينبغي أن يكون بينهم شورى، قال تعالى: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}46.

وعليه: فالنّاس مجعولون على المشاركة جعلًا؛ ولهذا وجب تفعيل المشاركة في كلّ زمن وعصر، وبخاصّة أنّ الدين قد كفلها للنَّاس كلّما اشترك النَّاس في أمرٍ سواء أكان أمرًا سياسيًّا أم اجتماعيًّا أم اقتصاديًّا أم أيّ أمرٍ من الأمور التي لا ينبغي لها أن تكون وتسود إلّا بذوي العلاقة، ومع أنَّ المشاركة حقّ وفقًا للأمر المشترك بين من يتعلّق الأمر بهم، فإنَّ البعض يحرم البعض الآخر تغييبًا وإقصاءً وحتّى قتلًا لكي ينفرد الدكتاتور بالأمر، ولكن إن قَبِل من قَبل أن يكون خاضعًا له، فعليه بإظهار الطّاعة التَّامّة لذلك الدكتاتور الذي قرّر الانفراد بالأمر كرهًا.

ومع ذلك النَّاس كلّ النَّاس لا يمكن أن يجمعوا على قبول الرّضوخ تحت أقدام الظَّالمين؛ فهم بين رافضٍ ومتمرّدٍ وثائرٍ، وقابلٍ متكيّفٍ مع الأمر الواقع ظلمًا، ومنافقٍ بين خوفٍ وجبنٍ.

ولأنَّ النَّاس يتفرّقون وهم أيضًا قابلون لأنْ يُفرّقوا عنوة؛ فإنَّ الظالمين يعرفون جيّدًا أنَّه كلّما ازداد تفرّق النَّاس ضعفوا ووهنوا واستكانوا؛ ولذا فهم يعملون ليلًا نهارًا على مزيدٍ من الفرقة؛ حتَّى بين المرء وزوجه.

والمشاورة قيمة استيعابيّة تتّسع دوائرها باتساع الأمر، وهي حقّ لكلّ من يتعلّق الأمر به على أيّ مستوى من مستويات الأمر الجماعيّة والمجتمعيّة وفي أيّ مكان وزمان، والمشاور هو الموصوف بالمشاورة التي تعني: أخذ الرّأي

---

45 آل عمران 159.

46 الشورى 38.

بعد تبيان الأمر واستيضاحه {وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ}47، وهذا يدلّ على أنَّ مفهوم الشّورى يتعاظم كونه قيمة حميدة لا يقتصر على فئة أو جماعة دون أخرى، بل الشّورى حقّ لكلّ النَّاس وأيّ عددٍ يمكن أن يكون في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولذلك فممارسة الشورى حقٌّ للجميع الذكور والإناث ولا أمر إلّا ويفعّل بالشّورى.

ولأنَّ الأمر هو كلّ ما يتعلّق بالإنسان من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسؤولياته، فهو واجب الأخذ به؛ ولذلك في الآية السّابقة خاطب الله تعالى رسوله الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام وألزمه بالمشاورة في الأمر، وكأنّه يقول له، في وجودك يا رسول الله لا ينبغي لك أن تقرّر أيَّ شيء يتعلّق بالنّاس نيابة عنهم، بل ما يتعلّق بهم من أمرٍ يجب أن تكون فيه في حالة شورى معهم؛ ولذلك كانت الآية (وَشاورهُمْ فِي الْأَمْرِ) موجَّهة إلى رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام لتبيّن له أهميّة المشاورة في الأمر مع الذين يتعلّق الأمر بهم.

وبعد أن تتمّ المشاورة في الأمر الذي هو بين النَّاس (شركاء فيه) يجب أن يؤخذ القرار الذي أصبح العزم فيه واضحًا إذ لا تردّد من بعد مشاورة تفضي إلى قرار عن وعي وإرادة ورغبة، (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكلّ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)، أي: إذا بلغت مرحلة اتخاذ القرار، واتّخذته بعد المشاورة فتوكّل على الله لتنفيذه وفقًا لِما صمّمت عليه من رأي، أي: لا يجب أن تتأخّر؛ فامضِ حيثما عزمت؛ فإنَّ الله يُحب المتوكّلين عليه في تنفيذ أمورهم التي هي في مرضاته تعالى؛ ولذلك كانت منابر المساجد في عهد رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام منابر دعوة وتبشير وشورى وفي كلّ أمر يتعلّق بالنّاس؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاورًا لمن يتعلّق الأمر بهم سلمًا

47 آل عمران 159.

وحربًا وعهدًا وموثقًا. ويا ليت النَّاس من بعده كانوا على هدى الشّورى سياسةً واقتصادًا واجتماعًا، بل في هذا العصر الانحرافات عن الشّورى هي السائدة، ممّا جعل الأمور في أوطان المسلمين تزداد تأزُّمًا؛ فحكم الدكتاتور بداياته مخالفة، ونهاياته جريمة واختراقًا لحقوق الإنسان وكرامته استعبادًا وإذلالًا وقهرًا؛ ولهذا تزداد التأزُّمات تأزُّمًا والشدّة أكثر ألما.

ومن ثمَّ فقوله: (وَشاورهُمْ في الأمر) هي الباقية حتَّى وإن كانت نتائج بعض المشاورات ليست بالإيجابيّة الظاهرة؛ ولأنّ الكمال لله وحده فلا استغراب أن يكون النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم على غير كمال؛ فيقعون في مثل ما وقع فيه المتشاورون في موقعة أُحد بأسباب عدم التقيّد بما عزم عليه رسول الله وهو البقاء على قمّة الجبل لبعض من الرّماة، ولأنَّ الشورى حقّ فلا ينبغي أن تُفسخ بأسباب عدم الكمال، بل به يجب أن تُرسَّخ بين النَّاس ليكونوا على الحقّ أو منه أقرب. أي: إذا كان رأي النَّاس لم يبلغ الكمال؛ فكيف بحال من ينفرد بالرأي بعلّة أو بدون علّة!

وفي حديث عن سيدنا عليّ رضي الله عنه قال: "قلت: يا رسول الله الأمر ينزل بعدَك لم يَنزل فيه قرآن ولم يسْمع منك فيه شيء قال: اجمعوا له العابِد من أمّتي واجعلوه بينكم شُورى ولا تقضوه برأي واحد"[48].

وفي عهد ملكة سبأ كان للمشاورة شأن؛ ولهذا كانت في ذلك الوقت على القوّة التي بها يُضرب المثل، قال تعالى: {قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أولُو قوّة وَأولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

[48] التحرير والتنوير، ج 3، ص 263.

وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}49.

ولأنَّ الله واحد لا شريك له لا يُثنى ولا يُجمع؛ فهكذا الحقّ هو واحد لا يُثنّى ولا يُجمع، ولهذا ينبغي لنا أن نجمع النَّاس شورى بالحقّ كي لا يتفرّقوا من بعده.

إذن: الأمر الذي يتعلّق بالنّاس في فترة الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام كان في حالة شورى بين الرّسول والآخرين الذين يتعلّق الأمر بهم؛ أمَّا من بعده فيترك الأمر بين الذين يتعلّق بهم شورى يقرّرون ما يشاءون فيه، وينفّذونه كما يشاءون وفقًا لما يرون؛ ولهذا لا ينبغي لأحدٍ أن يتقدّم لينوب عن النَّاس فيما يتعلّق بهم من أمر دون أن يكلّفوه به تكليفًا إراديًّا.

وكلمة (أمرُهُم) تتكون من جزأين هما:

. أمْرُ.

. وهُم.

فالأمر هو ما سبق تبيانه، أمّا (همّ)؛ فجاءت مطلقة، أي: كلّ من هم على علاقة ارتباط مع الأمر، ولفظة (بينهم) الظّرفية تعني: أن تقتصر الشّورى في الأمر على الذين يعنيهم الأمر فقط ولا مكان لغيرهم فيه، ولتأكيد هذا الخصوصيّة قال عزّ وجلّ (بينهم)، ولم يقل بين الحاكم والمحكومين، أو بين السّادة والعبيد، أو بين المسؤول وغير المسؤول.

والشورى فضيلة خيّرة وقيمة حميدة استمدّت من الدّين والعرف الذي هو المكوّن العام لكلّ الذين تعنيهم الشّورى في الأمر؛ ولهذا وجب

---

[49] النمل 32، 35.

تفعيلها مبدأ قيميًا؛ فالشّورى من أخلاق العقلاء كونها رافدًا مهمًّا في تحسين الاختيار الذي يصبّ في قرار الإرادة الناتج عن الوعي الجمعي، ومن شاور النَّاس شاركهم فيما يعقلون؛ وذلك من أجل تحرّي أفضل السُّبل التي تقود إلى نجاح فكرة ما أو رأي ما أو قضية من القضايا الاجتماعيّة والإنسانيّة، ذلك أن أيّ قرار بإرادة لا يستند على المشاورة مبني على نقص في الفكرة؛ ولذا فالعلاقة قويّة بين الإرادة والأمر والواقع والظرف الذي هو فيه؛ فالإرادة قيمة تُمكِّن من اتخاذ قرارات وفق معطيات واقعيّة، وهذا الواقع إنّما يتمثّل في أفراد المجتمع الذين يتعلّق الأمر بهم، وكلّما كانت دائرة المشاركة والشّورى متَّسعة للذين يتعلّق الأمر بهم، كان الاختيار أقرب إلى الواقع، أو مطابقا له، وبالتّالي كان قرار الإرادة ينسجم مع هذا الواقع الذي يُهيّئ له في دائرة الممكن.

ولأنَّ الأعمال تتفاضل وتختلف درجاتها، وشرط نجاح الأعمال سلامة المعتقد، أو نجاح الفكرة أو الأفكار التي تقوم عليها تلك الأعمال، ومن أجل تطابق الفكرة النظريّة مع الواقع العملي قدر المستطاع وجبت المشاركة والشّورى التي تؤسّس على الإرادة من أجل ممارسة الحقّ والعمل على إحقاقه.

فالشّورى لا تقتصر على فرد أو صديق أو جماعة دون أخرى، وإنّما كلّما اتسعت دائرة الشّورى، اتّسع مجال الاختيار، وحتّى الذين لا تظنّ بهم خيرًا يدخلون ضمن الشّورى التي بأسبابها تتطهّر أنفسهم أو تقتدي للأحسن والأقوم؛ فمن خلال الشّورى يتمّ الحصول على أفكار عقليّة وخلاصة تجارب تستند إلى أساس واقعي، فمجموع الأفكار التي يتمّ استخلاصها شورى إنّما هي نتاج تجارب وخبرات وحاجات متنوّعة ومتطوِّرة إمّا مقتبسة من الواقع من خلال المشاهدة بإعمال الفكر وعملية التأمل، أو مكتسبة منه على

أساس تجربة سابقة؛ فهذه الشورى وإن كانت فكرة ذهنية، فإنَّها تكوّنت من معطيات واقعية، وعلى هذا الأساس يستطيع المشاور أن يُركّب من خلال إدراكه لِما هو واقع مدركات وتصورات جديدة تُسهم أو تؤدّي إلى إنتاج معرفة مضافة بأساليب أكثر فائدة ونفع في صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه: المشورة هي إغناء الفكرة من استظهار آراء الآخرين لمعرفة ما لديهم من خبرة ومعرفة ورأي؛ وكذلك فهي تشدّ أواصر الرّابطة الجماعيّة والمجتمعيّة بين من يتعلّق الأمر بهم؛ فالمشورة تنوِّر الأفكار وتوضِّح الأمور، ممّا يضفي زيادة في الفهم عندما يقدم العقل على الاختيار وبخاصّة في الأمور المصيريّة التي تحتاج إلى إمعان النظرة وتقليب الفكرة، ولذا فإنَّ الشّورى أمر يجب الأخذ به والعمل عليه مشاركة؛ فهي قيمة حميدة وفضيلة خيّرة، ومن يريد أن يبقى غير طائعٍ للدكتاتوريين فعليه بتفعيل المشاركة شورى في كلّ أمر مستوجب الاستشارة فيه.

إذن: الاستشارة تؤدّي إلى صواب الرّأي، ولا يكاد المشاور أن يخطئ، وإن أخطأ بأسباب عدم الكمال فقد شارك من استشارهم في حمْل المسؤولية.

ولذا؛ فإنْ أُرِيدَ للمجتمع أن يكون قويًّا؛ فعليه بتمكين أفراده من ممارسة المشاركة شورى في المجالات الآتية:

المجال الاجتماعي.

المجال الإنتاجي.

المجال السياسي.

المجال النفسي.

المجال الذوقي.

المجال الثقافي.

ولأنَّ أمر الحرب كأيِّ أمر من أمور النَّاس هو شورى بينهم؛ فلا يجوز فيه الإجبار من أحد، ممّا جعل الرّسول عليه الصَّلاة والسَّلام في عهده لا يتجاوز التحريض على الجهاد، ولذا فمن لا يرغب في ذلك لا يكره ولا يرغم ولا يساق إلى جبهات القتال بالسياط والتهديد بالقتل كما هو حال الجيوش النظامية التي تجنّد بأوّل غرض وهو حفظ أمن الحاكم، ثمّ بعد ذلك إن كتبت حربًا على الحاكم الظالم بما يقدم عليه من أعمال وأفعال الفساد.

وعليه: لم يكن للرّسول جيوش نظامية كما هو حال المجتمعات من بعده، بل كان معه مقاتلون من أجل إحقاق الحقّ وإزهاق الباطل وبكلّ اشتياق ورغبة، ممّا جعلهم يوصوفون بـ(المجاهدين)، أمَّا أمر الجيوش؛ فهو عبارة عن موظفين مأجورين من قبل أجهزة الدّولة للدّفاع عن النّظام وقمّته بشكل خاصّ، وعندما تُكتب عليهم الحروب يدخلونها متثاقلين غير راضين، وليس لهم حرّية التخلّف عن تنفيذ الأوامر التي تصدر لهم، وهم لا رأي لهم فيها، ممّا يجعل الهزائم العسكرية علامة من علامات الجيوش المأجورة.

وبالرّغم من الخسارة الحربية للمسلمين في بعض المعارك التي خاضوها ضدّ الذين كادوا لهم المكائد ومكروا بهم مكر فإنَّ الانتصارات كانت هي الحليف الأكثر تكرارًا لهم؛ وذلك نتيجة الإيمان بالقضية التي جاهدوا في سبيلها بالقوّة، قوّة العقيدة وقوّة التوحيد وقوّة الحُجّة وقوّة النّفس وقوّة الإرادة التي جعلت للتهيّؤ والاستعداد والتأهُّب أهمية ورفعة شأنا.

إذن: الفرق كبير بين من يقاتل من أجل قضيّة عن إرادة، ومن يقاتل من أجل حكومة مكرهًا؛ فالذي يقاتل من أجل قضيّة دينية أو وطنية فهو

يقاتل في حقيقة الأمر من أجل كرامة شخصيّة يكون لها اعتبار بين النَّاس ويكون لها اعتبار في المستقبل الخالد، ممّا يحقّق للمقاتل النّصر أو الاستشهاد، أمَّا الذي يقاتل بغير قضية فلا يكون له اعتبار لا في الحاضر ولا في المستقبل، ممّا يجعله في حالة استسلام وهزيمة ويكون النّدم غير مفارق له.

وعليه: جاء الأمر في قوله تعالى: (شاورهُمْ) مطلقًا لا مقيّدًا على أمرٍ محدّدٍ، أي: شاورهم يا محمَّد في كلّ أمر من أمورهم المؤدّية إلى علاقات بينهم؛ فالمشاورة بين المسلمين جاء النصُّ عليها فيما لم يرد بشأنه نص واضح مبيّن؛ فالذي نزل بشأنه نص قرآني لا شورى فيه، بل به يتمّ الالتزام والاتباع مع فائق الطّاعة.

ولأنَّ الشورى هي البوتقة لأخذ الرأي الصواب والرّشاد إلى ما يجب؛ فهي حقّ يجب أن يُعطى ويُمكَّن النَّاس منه، وإن لم يعط سيتمّ أخذه كلّما تهيأت له الظروف؛ والشورى في عهد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إن أردنا القدوة الحسنة لها مرامٍ منها:

. تُمكِّن من معرفة خير الأمور بين النَّاس وأشرّها.

. تُمكِّن من اتباع أمر الله بين العباد وبالعباد.

. تُمكِّن المتشاورين من المعرفة الحقّة.

. تُمكِّن من معرفة المتميّزين واكتشافهم في المجتمع فكرًا واستعدادًا وقدرةً وقدوةً حسنة.

. تُمكِّن المشاركين من حمْل أعباء المسؤوليات الجسام.

. تُمكِّن أصحاب الأفكار والرّؤى من بوتقة أفكارهم ورؤاهم في اتخاذ قرارات قابلة للتنفيذ وفقًا لِما هو متاح لديهم من إمكانات.

. تُحسِّن من المستوى المعرفي للمتشاورين وترتقي بهم إلى ما يفيد وينفع.

. تُمكِّن الأفراد والجماعات من الانتماء إلى النظام الذي أقرَّ لهم حقّ المشاركة.

إذن: الشورى تمكّن النَّاس من ممارسة الحكم على قاعدتين رئيستين هما:

1 . إحقاق الحقّ.

2 . إقامة العدل.

وفقًا لهاتين القاعدتين لا مكان لمحتكر لعناصر القوّة، أي: لا مكان للظالمين والمتجبّرين والمتكبّرين والمفسدين في الأرض والفاسدين؛ ولذا لا طاعة لأحدٍ على أحد إلّا في حالتين هما:

. طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تعالى، {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}50.

. طاعة أولي الأمر منكم، وهؤلاء ليس هم أولي أمركم؛ فالفرق كبير بين أولي الأمر منكم، وأولي أمركم؛ فأولو أمركم همّ الوالدين أو من يحلّ محلّهم من الأخوة والأقارب الذين يتعلّق الأمر بهم، أمَّا أولو الأمر منكم مصداقًا لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

---

50 لقمان 14، 15.

مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}51؛ فهم الذين أوليتموهم أمركم وفقًا لدستور أو عرف أو قانون أو عقد اجتماعي وإنساني، ممّا يجعل طاعتهم طاعة للأمر الذي هو منكم، وفقًا للصّلاحيات والاختصاصات والحقوق والواجبات والمسؤوليات الموثّقة والمشرّع بها.

وعليه: فالمطاع هو الذي يتمَّ اتِّباعه عن رغبة وإرادة، والطّاعة الحقّ لا تكون إلّا للحقّ والذي يأمر به، ولهذا في الطّاعة اتباع، ونيل تقدير، ونيل احترام، ونيل اعتراف، وتحقيق اعتبار، وفي معكوس المعنى اللغوي للطّاعة يكون الضلال والمعصية، وهنا يصبح في مقبل الطوع يكون الكره.

ولأنَّ الدّين الحقّ من عند الله؛ فالله تعالى أوجب طاعة الرّسول ثمّ تلاها بطاعة أولي الأمر من النَّاس طاعة في غير معصية لله، ولذا فإنَّ قوله (وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) لا تعني أولي أمركم، فأولي أمركم تعني: من يتولاكم بالرّعاية والعناية كالوالدين والأخوة الكبار، أمَّا أولي الأمر منكم تعني: الذين اخترتموهم طواعية للقيام برعاية الأمر الذي هو منكم، وهذا الأمر هو أيُّ أمر منكم سواء أكان سياسةً داخليةً أم خارجيّةً أم سلمًا أم حربًا، فالذي اخترتموه لذلك عليكم بطاعته في الأمر الذي اخترتموه من أجله، وهذا يعني لا طاعة له في غير الأمر الذي تمَّ اختياره ليكون عليه وليًّا راعيًا. ولكن هناك من يولّى على الأمر فينقلب على من أولوه رعاية له، ممّا يجعله يخطو بأوّل خطوة لتغيير الدّستور أو العمل بقانون الطوارئ؛ فيقمع الشّعب بكلّ الوسائل المكمّمة للأفواه المطالبة بالحرّية، ويغيّر عناوين الإدارات والمؤسّسات، كما يغيّر المسؤولين من مسؤولين لهم من القدرات والمهارات والخبرات ما يكفي لإدارتها بآخرين أزلام ليس إلّا؛ فيولّي على النفط من لا علاقة له بعلم

[51] النساء 59.

النفط وسياساته، ويولّي على التعليم من لم يتأهل حتَّى بالشهادة الإعدادية، ويولي على الصّحة من تخصّصه جغرافي؛، وهكذا كلّ شيء يتغيّر بغير حقّ لتصبح المظالم هي السّائدة وآلام الشّعب وأوجاعه تتضاعف، والرّفض جنبًا إلى جنبٍ معها يتضاعف إلى أن يبلغ السيل الزبا؛ فَيَهُب الشّعب بأسره غضبًا من أجل كرامة جرحت، وهويّة طمست ودين شُوّه، وقيم قوّضت.

مبدأ حقّ المشاركة:

(الإقرار بأنّ تعزيز التعاون المهني والمشاركة الفعَّالة في اتخاذ القرار وتنفيذه ومتابعته، يُمكّن من إظهار الأفكار والمهارات بتوازن، ويخلق شخصيّة اجتماعيّة متفاعلة وواعية بما لها من حقوق وما عليها من واجبات ومسؤوليات، ويحقق رضاءً اجتماعيًّا).

دور الأخصائي الاجتماعي وفقًا لمبدأ (حقّ المشاركة):

1 . تحفيز أفراد المجتمع على الإقرار عن وعي بما لهم وبما عليهم والوقوف عنده.

2 – إعطاء الفرصة للعملاء لفهم مشاكلهم وأسبابها والعوامل المؤثرة فيها، من أجل أنْ يتخذوا قرارتهم عن وعي وبحرية تامّة في كل ما يتعلق بهم من أمر لأجل إيجاد حلول ومعالجات مرضية حتى يتم التمسك بها موضوعيًّا.

3 – مساعدة العملاء على إدراك قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم المتاحة والتي يمكن تتاح.

4 . توعية الأفراد بأهمية التمييز بين ما يجب وما لا يجب ليتمكّنوا من الإقرار بما يجب ويعملوا عليه ومعرفة ما لا يجب ويبتعدوا عنه.

5 . تحريض الأفراد على التعاون البنّاء الذي يُمكِّن من نيل التقدير والاحترام، وبما يثبت ذاتهم الاجتماعية.

6 . تعزيز التعاون بين أفراد المجتمع وجماعاته على ما من شأنه أن يؤدّي إلى تقديم الحقائق كما هي، ويحقّق نتائج موجبة للمجتمع بأسره.

7 . دفع أفراد المجتمع وجماعاته إلى التخصص المهني الذي بدوره يؤدّي إلى تطوير المجتمع وإحداث التغيير المحقّق للنُّقلة.

8 – تفطين العملاء بإمكانيات المؤسّسة وشروطها، وموارد البيئة المحيطة التي يمكن الاستفادة منها بما لا يتعارض مع النُّظم والقوانين.

9 – إمداد أفراد وجماعات المجتمع بالإمكانيات المادّيَّة والمعنويّة التي تُمكِّنهم من التخلُّص من عوامل الخوف والتهديد، وتفسح أمامهم مجالات التنفيس عن انفعالاتهم من خلال ممارسة الأنشطة المتعدِّدة والمتنوِّعة.

10 . حث الأفراد على المشاركة الفعّالة لأجل ما من شأنه أن يؤدّي إلى إتقان ما يقدمون عليه من عمل بنجاح.

11 . حث أفراد المجتمع وجماعاته على المشاركة الفعّالة التي تُمكِّنهم من إنجاز المهام وتأدية الواجبات الصعبة بتعاون وجهود مشتركة.

12 . تفطين أفراد المجتمع وجماعاته إلى التمسّك بكلّ ما يتعلق بهم من أمر واتخاذ القرارات المناسبة حياله بإرادة.

13 . تفطين أفراد المجتمع إلى أهمية مشاركة أفراده القادرين على تنفيذ القرارات التي اتخذوها بإرادة.

14 – استثارة القوّة الذّاتية للجماعة بما يحقّق الديناميكية بين أعضائها لتقرير ما يرونه مناسبًا لإشباع احتياجاتهم.

15 – المشاركة في سن القوانين التي تُمكِّن الأفراد من ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وتحمّل مسؤولياتهم كاستجابة لممارسة الحرّيَّة بأسلوب ديمقراطي.

16 – ترشيد أفراد المجتمع على أنَّ الدّفاع عن الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة واجب أخلاقي وإنساني تحتويه المناهج والمقررات ويعمل به الأخصائيون الاجتماعيون ويقدمون على ترسيخه مهنيًّا.

17 . تحفيز أفراد المجتمع دون استثناء على متابعة ما اتخذوه من قرارات وما عملوا على تنفيذه حتى لا يحدث الانحراف عن قيم تأكيد الشّخصية الاجتماعية المسؤولة.

18 . إظهار الاتزان النفسي عند تعامله مع الأفراد والجماعات أو مع العملاء في المؤسّسات الاجتماعية.

19 . إظهار المهارات المهنية أو الحرفية المتنوِّعة بتوازن مع مبررات كل موقف ومع مبررات كل ظرف من الظروف التي تختلف من حالة إلى أخرى ومن وقت لآخر.

20 . تمكين الأفراد والجماعات أو العملاء من المشاركة الإيجابية حتى يتمكَّنوا من التفاعل الاجتماعي المرضي.

21 – مساعدة الأفراد والجماعات على المساهمة الكاملة والاشتراك الفعلي في عمليات الدراسة وتحديد الأهداف ووضع الأولويَّات ورسم الخطط وإعداد البرامج وتنفيذها.

22 – تفهُّم قدرات واستعدادات الجماعة، وتقدير أفكارهم واحترام آرائهم بما يساعد على إنجاز المهمة المسندة إليهم وفقًا للخطط المرسومة.

23 . توعية الأفراد والجماعات أو العملاء والزّبائن الذين يعمل الأخصائي الاجتماعي معهم بما يجب حتى يتمّ الإقدام عليه، وبما لا يجب حتى يتم الإحجام عنه.

24 . تشجيع الأفراد والجماعات على إظهار مهاراتهم المهنيّة حتى يتمكّنوا من المشاركة الفعّالة التي تُسهم في عمليات التغيير الاجتماعي المستهدف بذلك.

25 . ترسيخ القيم والفضائل الإنسانية وبناء الشخصيَّة المتطلّعة لكلِّ موجب وجديد بتأكيد أهمية ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات.

26 . العمل على تحقيق التوازن العلائقي بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليات.

27 – تحديد أوجه النشاط المكلف به كلّ عضو من أعضاء الجماعة وممارسته في حدود ما تسمح به قدراتهم وإمكانيات وظروف المؤسّسة.

28 – إعداد برامج تتضمّن أنشطة تهدف إلى تقوية إرادة الجماعة؛ فكلّما كانت إرادة عضو الجماعة قويَّة تمكَّن من التفاعل الموجب مع بقية الأعضاء، وتحقّق بذلك التوازن الانفعالي الذي به يتمكّن من تكوين علائق تطلعيَّة.

29 – المساعدة على اختيار قائد للجماعة، له منهج وطريقة وأسلوب يحقق من خلالها أهداف الجماعة وأهداف المؤسّسة.

30 . تفطين أفراد المجتمع بأهمية ممارسة الحقوق، حتى تتأكد إراداتهم بحرّيَّة.

31 . التأكيد على أهمية أداء الواجبات في ترسيخ حقّ المواطنة وبناء الشّخصية المتطلِّعة مع كلِّ موجب مفيد.

32 . ربط العلاقة القيمية بين ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وما يترتّب عليها من حمْل المسؤوليَّات.

33 . ممارسة الحريَّة قيمة تؤكّد كرامة الإنسان فردًا أو جماعةً أو مجتمعًا عميلًا كان أم زبونًا، فعلى الأخصائي الاجتماعي ألَّا يغفل عن أهميّة الإرادة في ترسيخ هذه القيمة على أيِّ مستوى من مستويات الشخصية.

34 – التخفيف من حدة التوتّرات الداخلية لعضو الجماعة، وإقناعه بأنَّه قوّة، وأنَّ عليه اتخاذ الكثير من القرارات، وأنْ لا يقف عند فشل قرار اتخذه في حياته.

35 – إزالة الضغوط الخارجية التي تحد من حرية الأفراد في اتخاذ الاختيار السليم لمصيرهم، سواء من جانب الأسرة أو المدرسة أو الأصدقاء أو وسائل الإعلام.

36 – تدخل الأخصائي مهنيًّا في تقرير مصير الحالات التي تعاني من الركود والسلبيَّة والتواكل أو الحالات المرضيّة، أو مخالفي القانون.

37 . دفع الأفراد للمشاركة في رسم الخطط والسياسات في دائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) يُمكِّنهم من تفادي المفاجئة والاستعراب.

38 . تفعيل المشاركة الإيجابية في كلّ ما من شأنه أن يحقّق الرّضا الاجتماعي ويُمكِّن من بلوغ النتائج المرضية اجتماعيًّا.

39. المشاركة في رسم الخطط والاستراتيجيات وفقًا لأهداف واضحة ومحدّدة حتى يتمّ التمكّن من نتائج موضوعيَّة[52].

[52] عقيل حسين عقيل، الموسوعية القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية (الوحدة الثالثة البرمجية القيمية لمبادئ الخدمة الاجتماعية، الشركة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م، ص 28.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف 68 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

صدر له (129) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البستان الحلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجية القيمية لمهنة الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيمية في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيمية في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيمية لبرمجية الخدمة الاجتماعية، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيمية في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24. مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

25 . خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

26 . قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

27 . أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

28 . آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30. إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39 . محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 . موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 . التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 . ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

53 . المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق . بيروت، 2011م.

54 . الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 . الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 . سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 . خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116. من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117. التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118. منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119. الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120. المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121. تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122. الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123. مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124. المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125. الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126. مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 . الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . مفاهيم لا أخطاء فيها وفيها من الأخطاء، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشرية جامعة جورج واشنطن 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعية.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامّا لقطاع الشؤون الاجتماعية، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينا عاما للتنمية البشرية بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 78 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (120) مؤلّفا منها خمس موسوعات.

. أشرف وناقش 74 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعية والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.